الجيش المصرى وحروب الشام الأولى

دراسة فى ضوء وثائق عابدين
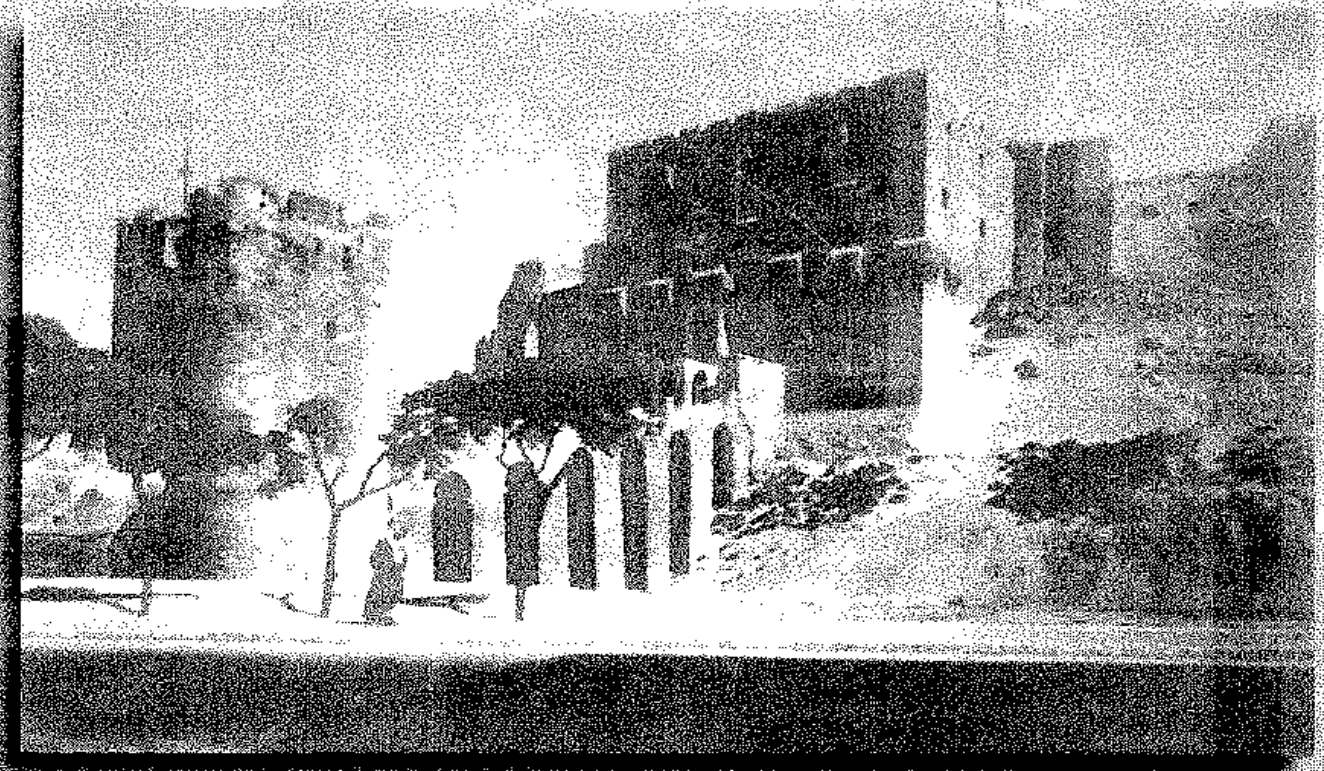
الجيش المصرى وحروب الشام الأولى

١٢٤٧ - ١٢٤٨هـ / ١٨٣١ - ١٨٣٣م

دراسة فى ضوء وثائق عابدين

دكتور محمد رفعت عبد العزيز
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
تربية عين شمس

الطبعة الأولى
١٩٩٩

عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

شكر واجب

لكل من علمنى حرفا ، فأنا له «عبد لايقبل العتق »
وبخاصة لأستاذى الدكتور عبد المنعم الجميعى ، فلولاه لما كان
هذا البحث .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة تحليلية

تذهب بعض الدراسات[1] إلى أن انتقال مصر- على يد محمد علي- إلى مرحلة الرأسمالية ، إنما تم بتأثير ألباني، حيث نشأ محمد علي، وتحديداً بتأثير علي باشا التبدلنلي، الذي ينتمي إلى أسرة تركية استقرت في ألبانيا في أواخر القرن السادس عشر، وعمل أفرادها بعد ذلك في السلك الإداري والحربي العثماني .

أما علي باشا (١٧٤٤-١٨٢٢) فقد تدخل بمهارة - بعد بلوغه سن الرجولة - في الحروب القائمة بين كبار الأمراء في ألبانيا ، وأبدى ولاءه للسلطان ، فعينه الباب العالي متصرفاً لصنجق «دلونيه» ، فقضى على عصابات اللصوص في المنطقة، في نفس الوقت الذي فرض عليها إتاوات ضخمة لحسابه . وفي عام ١٧٨٨ ، استغل علي باشا سخط سكان «يانينه» على حاكمهم وحرسه فدخلها على رأس جيشه ، معتمداً على تنظيم سري بها، وجعل أعيانها ينتخبون حاكماً جديداً ، ولكنه زيف الوثيقة التي سجلت فيها نتيجة الانتخاب وأعلن نفسه فائزاً ، ثم استولى على المناطق المجاورة، وأقام سلسلة من التحالفات مع البنادقة والفرنسيين والانجليز، كان يغيرها إذا وجد ميزان القوى يتغير .

١- أحمد صادق سعد : تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلى النمط الرأسمالي ،دار الحداثة بيروت ، ١٩٨١ .

وفى عام ١٨١١ ، ألقى على باشا بيكوات ألبانيا الجنوبية فى سجونه، وأستولى على أملاكهم وأسر أطفالهم ونساءهم [١].

ومن الناحية الاقتصادية أصبح على باشا أكبر مالك أرض، وأكبر صاحب مواشى وأكبر تاجر فى بلده [٢]. كما اتخذ العديد من الإجراءات لتشجيع التجارة ، ففرض الأمن فى البلاد، وأعاد تمهيد الطرق القديمة، كما بنى طرقًا جديدة ، وحفر القنوات لتسهيل الرى، وصان الأنهار لجعلها صالحة للملاحة ، وبنى موانىء جديدة. إضافة إلى أنه تولى الالتزام على أملاك السلطان فى أقاليمه[٣] ، ومنها المصايد والملاحات .

كما أنشأ فى بعض ضياعه ورشًا ومصانع يدوية كبيرة الحجم نوعًا وأقام مصنعًا للبارود وآخر لسبك المدافع [٤]، وبنى قلاعه وحصونه وقصوره بواسطة السخرة[٥].

٢- زاد محمد على فيما يتعلق بالمماليك - وفى نفس السنة أيضا - بأن تخلص من أغلبهم فى مذبحة القلعة .

١- زاد محمد على بأن أصبح خليفًا بالوصف الذى وصف به، بأنه الزارع الوحيد، والصانع الوحيد، والتاجر الوحيد فى مصر.

٢- رغم أن محمد على ألغى نظام الالتزام فى مصر ، إلا أنه بدأ عمليا- هو الآخر- وكأنه الملتزم الوحيد بالأراضى المصرية.

٣- توسع محمد على فأنشأ قاعدة حقيقية لصناعة مصرية، وإن ربطها بالجيش ومتطلباته ، فتقلصت بتقلصه فيما بعد .

٤- نفس المرجع ، ص ص. ٢٢-٢٢٤ .

ومن الناحية العسكرية حول على باشا التبدلنلي جزءاً من جيشه إلى فرق نظامية حديثة[١] وأنشأ مدرسة عسكرية[٢] لهذا الغرض بالقرب من «يانينه» وكان رجال المدفعية لديه تحت إمرة مدربين أوروبيين .

١- حاول محمد على أن يدرب العناصر الموجودة لديه على النظم الحديثة، لكنهم ثاروا وتمردوا عليه، وبعدما فقد جزءا كبيرا من هذه العناصر فى حربه ضد الوهابيين بدءا من عام ١٨١١ ، وفى فتح السودان عام ١٨٢٠ ، فإنه وزع باقى هذه القوات غير النظامية على الثغور فى شمال الدلتا ليبعدهم عن القاهرة حتى لايكونوا مصدر قلق له ، وجلب من السودانيين نحو ثلاثين ألفاً ليكونوا قوام جيشه الحديث لكن هلك الألوف منهم لعدم ملاءمة البيئة لهم من جهة ، وضعفهم عن تحمل مشاق الخدمة العسكرية من جهة أخرى. ومن ثم لم يكن أمام محمد على إلا الاعتماد على المصريين ، فأخذ يستدعى الخبراء «والتعليمجية» ، من أوروبا ، وعلى رأس هؤلاء الضابط الفرنسى الذى اعتمد عليه، واقترنت شهرته بإنشاء نواة الجيش المصرى الحديث، وهو الكولونيل سيف Save ، والذى تسمى فيما بعد باسم سليمان الفرنساوى .

وقد بدأ سيف العمل مع أربعمائة من مماليك محمد على وعدد آخر من مماليك كبار المصريين وأبناء محمد على نفسه وعلى رأسهم إبراهيم ، وبلغ الجميع ألف شخص. ومنهم تكونت نواة الجيش بعد أن تخرج هؤلاء ضباطا له، بحيث أصبح فى مطلع عام ١٨٢٣ يضم ستة آلايات، ليشتمل كل آلاى على خمس أورط، تتألف الأورطة من ٨٠٠ جندى، وبذلك صارت هذه القوة تتألف من ٢٤ ألف جندى . انظر ، الأمير عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر فى عهد محمد على، الجيش المصرى البرى والبحرى ، مكتبة مدبولى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص٥ وما بعدها .

وانظر أيضا :

Little, Tom : Modern Egypt, London 1968 . p. 33 .

وأيضا :

Hunter , F. Robert : Egypt under the Khedives, 1805-1879. London 1940 . p. 15 .

٢- تعددت المدارس الحربية التى أنشأها محمد على، منها مدرسة أركان الحرب، ومدرسة المشاة ، مدرسة السوارى، ومدرسة المدفعية وغيرها.. إضافة إلى اهتمامه بالأسطول .

وفى التعليم استخدم على باشا التبدلنلى الخبراء الأجانب بصورة واسعة[1]، ورغم قسوته وطمعه ، فقد بدا كحاكم مستنير ومتقدم ، وكان يهتم بما يجرى فى أوربا ويجعل مساعديه يترجمون له ما تكتبه الصحف الإفرنجية ، كما كان يلتقى بالرحالة الأجانب ليسألهم عن معلوماتهم، وعمل على كسب رجال العلم لخدمته ، ولم يكن على باشا يميز بين المسلمين والمسيحيين، بل كان يميل نوعا إلى هؤلاء الأخيرين [2].

لقد كان «الحكم المطلق» لعلى باشا التبدلنلى يمثل – من الناحية الموضوعية – طريقًا مساومًا بين النظام السابق الذى كان يتدهور فى ألبانيا والنظام الرأسمالى الوليد. وفى الفرمان الذى وجهه السلطان محمود الثانى إلى قائد جيشه ، «خورشيد باشا» قال عن على باشا : «.. لقد تمرد ضد حكومتى تمردا مليئًا بالوقاحة والإدعاء واكتشفنا بصورة لاتدع مجالاً للشك أنه تفاهم سرا مع الثورة اليونانية ، وأنه أرسل مبالغ كبيرة إلى «كفار» المورة، ولذا بدا لى موت هذا المجرم أمرا ضروريًا وحتميًا [3].

١- تعتبر البعثات التعليمية إلى أوروبا – وفرنسا بخاصة– من أهم إنجازات محمد على .

٢- تماما مثلما فعل محمد على . أنظر :

Little, T : Op. cit, p. 36 .

٣- ساهم محمد على فى حرب المورة وبلاد اليونان ، وانتهى معاديا للدولة كما فعل على باشا التبدلنلى لكن بوضع مختلف ، فقد ورد فى رسالة لإبراهيم بن محمد على بخصوص نفس السلطان– محمود الثانى – «... إن التزاماتنا الدينية والشخصية نحو العالم الإسلامى تتطلب منا ألا نفكر فى مصالحنا فقط ، بل وفى صالح ورفاهية وسعادة الأمة الإسلامية– ولذلك سنحاول جهد طاقاتنا لطرد هذا المخلوق اللعين، لكى يجلس على العرش وريثه ».

انظر لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ – ١٨٤١ ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص١٩ .

جدير بالذكر أن على باشا التبدلنلى قتل غدرا عام ١٨٢٢ على يد أحد عملاء السلطان محمود الثانى. انظر ، أحمد صادق سعد: المرجع السابق ، ص٢٢٣ .

هكذا توفرت لمحمد على -ومن مسقط رأسه- تجربة ينهل منها، بحيث يمكن القول إن تجربة على باشا التيدلنلى مثلت خطوطًا عامة فى التحولات الهامة التى جرت بمصر فى ظل محمد على. لكن ما يهمنا - اتصالا بموضوعنا- أكثر من التحول إلى الرأسمالية ، هو مقارنة طموحات الرجلين ، وعلاقتهما بالجيران ، وعلاقتهما بالقوى الخارجية وبالسلطان، والأهم ملاحظة تفوق التلميذ - محمد على - على أستاذه ، إن أقررنا النقل أو التأثر .

فرغم تشابه الرجلين فى الملكات ، فإننا نقر باختلاف الإمكانيات - أو الظروف الموضوعية - التى من أهمها أن محمد على حكم مصر، درة السلطنة ، وجاور الشام بوابة مصر ، وأهم بوابات السلطنة، كما رزق بإبراهيم الفاتح الذى فتح الشام فأمن مصر وهدد السلطنة.

وموضوع «الجيش المصرى وحروب الشام الأولى ١٢٤٧هـ- ١٢٤٨هـ الموافق ١٨٣١-١٨٣٣م» يتصل بدراسة عبد المنعم الجميعى الوثائقية «الجيش المصرى وفتح عكا»[١] حيث وقعت معارك هامة من حروب الشام الأولى أثناء حصار عكا ، وبعد التسليم تقدمت قوات الجيش المصرى شمالا ، حتى جاوزت حدود الممكن إلى غير الممكن[٢] (من وجهة المصالح الأوروبية) . أيضا ، فإنها تعتمد- مثل الدراسة المشار إليها- على مجموعة منتقاة من وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام، والتى تشتمل على مراسلات أرسلها- أو تلقاها- إبراهيم باشا قائد الحملة بتطورات الموقف، الموقف المصرى، أو موقف أهل الشام من القوات المصرية . وقد لايكتفى إبراهيم باشا بعرض ترتيباته على جبهات القتال فى الشام ، فتمتد نصائحه لتغطى سواحل الدلتا الشمالية ، أو توجه بعض أمور الإدارة فى مصر كما سيلى.

١- دراسة فى ضوء وثائق عابدين ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢- عندما بدأت حروب محمد على فى بلاد الشام، كانت حلب هى الحد الأقصى لآماله فيها، انظر محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢ م، من محمد على إلى إبراهيم باشا .

ولقد تحددت مطامع محمد على فى بلاد الشام منذ وقت مبكر، وتعددت- عند المؤرخين- أسبابه، لكنها لاتخرج عن خطين رئيسيين : الأول أنها كانت حربا دفاعية[١] والثانى يربطها بالسيطرة وتوسيع النفوذ[٢] وحلم تكوين الإمبراطورية [٣].

أما أنصار الحرب الدفاعية ، فيرون أن تقلد محمد على لولاية مصر رغم أنف الباب العالى، وفشل الدولة العثمانية فى زحزحته منها، قد أوجد حالة من التوتر بين الطرفين : فلا

١- لايعجب البعض - مطلقا- من نهوض محمد على بمحاربة السلطان العثمانى، فقد كانت تستحثه على ذلك غريزة الدفاع عن النفس .. إذ كان يحارب للمحافظة على جاهه ومنصبه ومكانه، وأكثر من ذلك ، من المحتمل أنه كان يحارب للمحافظة على حياته أيضا .

انظر : عبد الرحمن زكى، حملة الشام الأولى والثانية ، بحث ضمن البحوث التى نشرتها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية فى ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، مكتبة مدبولى ١٩٩٠ ، ص٢٩٥ .

٢- يرى الرافعى أنها كانت حربا دفاعية هجومية فى آن واحد، انظر ، عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ط٥ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص٢١٧ .

٣- كان طبيعيا أن تراود محمد على أحلام الإمبراطورية، خاصة بعدما رأى من ضعف الدولة العثمانية ، لكنه لم يفصح عن ذلك أبدا، من ذلك أنه لما فتح دمشق احتار الناس باسم من يخطبون فى صلاة الجمعة ، فأجابهم إبراهيم باشا بأنه عبد للسلطان ويخطبون باسمه ويدعون لمحمد على ، وبعد الاستيلاء على حلب وحمص وبيلان طلب إبراهيم باشا من أبيه أن يخطب باسمه فى الصلاة وأن تسك له عملة ، فرفض الأب طلبه وتتصور أن تكون امبراطوريته على حساب الولايات العثمانية لا على حساب السلطنة ذاتها أنظر :

Dodwell . Henry : The founder of modern Egypt. Cambridge, 1931. p. 111 .

وانظر لطيفة محمد سالم : المرجع السابق ، ص١٨ ، وأنظر أيضا ، عبد الرحمن زكى: المرجع السابق ، ص ص٣٩٢- ٣٩٣ .

الدولة راضية عن وجوده فى مصر ، بدليل إرساله – وهو البعيد– إلى الوهابيين فى «حرب الصحراء الأولى » [١]. لتضرب «عصفورين بحجر واحد» [٢]، ولا هو مطمئن – رغم ما قدم– للسلطان «محمود الثانى» أو صدره الأعظم «خسرو باشا» على أثيرته مصر، فيضطر إلى تطوير قواته فيها بعيدا عن مأثورات التقاليد الحربية العثمانية، كما أشرنا .

أما أنصار الحرب الهجومية ، أو توسيع النفوذ ، فيذهبون مذاهب شتى؛ فمنهم من يربط هذه الأطماع بفرنسا ، وأنها هى التى أوحت لمحمد على بفتح الشام حتى تنشغل الدولة العثمانية عنها وعن الجزائر[٣]. ومنهم من يرجعها– بدون مرجع– إلى إسناد إمارة مكة إلى الابن– إبراهيم باشا– إغاظة للوالد وتفتيتا لقوة الأمرة [٤]، فيسرع الوالد– «المغتاظ» إلى احتلال الشام، لكن عن ؟ بأمير مكة الجديد!

١– كثيرا ما اشتكى محمد على إلى السلطان العثمانى من صعوبة حرب الوهابيين ، من ذلك قوله : « ... وما يجرى إرساله لحد الآن من العساكر السلطانية، إن كان الخمسة منهم استشهدوا حين المحاربة ، فالخمسة والعشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة الحر... »، انظر وثيقة منشورة فى عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ، ط٥ ، دار الكتاب الجامعى– القاهرة ١٩٨٧، انظر الملاحق .

٢– يرى البعض أن «الاعتقاد بأن الحملة الوهابية كانت محاولة من جانب الباب العالى لإنهاك موارد محمد على وقواته .. هو اعتقاد خيالى ، انظر ، عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ١٥١٧ –١٩١٩ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ ، ص٢٣٠ .

٣– إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، جـ٣ المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣١٢هـ ص٢٤٤ .

٤– إدوار جوان : مصر فى القرن التاسع عشر، تعريب محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢١ ، ص٣٧٢ .

جدير بالذكر أن المؤرخ محمد رفعت يتفق مع جوان فى محاولة السلطان العثمانى الوقيعة بين محمد على وابنه، لكنه لايذكر واقعة محددة.

انظر ، محمد رفعت : تاريخ مصر السياسى، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٣٩، ص٨٤ .

ما سبق فيه مبالغة من بعض أنصار الحرب الهجومية ، لكن الاقتراب من الواقع التاريخى يوفر منطقا للبعض الآخر من أنصار هذا الاتجاه . فقد وفر عدم تحقيق الوعود التى تلقاها محمد على نظير خدماته «الجليلة» التى أداها للدولة العثمانية سببا معقولا[١] لكى يستغل نزاعاته مع بعض ولاة الشام، أو يختلق هو هذه النزاعات لتحقيق حلمه القديم، والحصول على مقابل لما قدم . ومن ثم فقد توسل فى طلب الشام بوسيلتين : الأولى : ربط مصلحته فى الشام بحرب الدولة السعودية ، والثانية : التدخل فى أمور بلاد الشام واستقطاب ولاتها وأمرائها [٢]. والوسيلة الأولى لم يسع إليها وإن استغلها ، فقد اقترح على السلطان العثمانى- بعدما جاءته الأوامر بالزحف على الجزيرة العربية- أن تخرج عدة جيوش إلى مكة والمدينة- من مصر ومن الشام وعكا وبغداد - فى حملة واحدة بحيث «يصبح تنظيم المسألة وإنتاجها أسهل» [٣]. وفى الوقت الذى قلل فيه محمد على من كفاءة والى الشام- سليمان باشا- وقدرته على الذهاب إلى الحرمين «مع كونه مأمورا أيضا بذلك» ، فإنه ينسب إلى الوالى المشار إليه أمورا ، منها اتصاله بالمماليك الذين فروا إلى السودان ، ويحزم محمد على أمره مهددا بأن «ذهابه إلى الجزيرة العربية مرهون بطرد سليمان باشا من الشام»[٤].

١- فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى، جـ٢ ، بيروت ١٩٥٩ ، ص٣٤١ .

2- Holt, P. M : Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922 , Apolitical history, London 1980 , p. 185 .

٣- رسالة من محمد على إلى الصدر الأعظم بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ الموافق ٩ مارس ١٨٠٨م. منشورة فى عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ص٣٦٥-٣٦٧ .

٤- رسالة من محمد على إلى مندوبه فى الآستانة بتاريخ ٥ ذى الحجة ، ١٢٢٥ هـ الموافق ١ يناير ١٨١١م، منشورة فى نفس المرجع ص ص٤٠٨-٤١٠ .

لكن محمد على – موارية– لايطلب الشام لنفسه ، بل يطلبها لصديقه يوسف باشا كنج الذى عزل من منصبه فالتجأ إلى محمد على[١]. وموارية أيضا، وفى رسالة منه إلى السلطان العثمانى يستفتحها «بالمشى على الوجه»، يعرض محمد على جهوده فى محاربة السعوديين ، دون أن يكون هدفه – ورب البيت– إبداء الشكوى ، بل كان القصد (أولا) حقيقة الحال و(ثانيا) إفادة أنه لم يكن المراد من طلب الشام، أولا وآخراً، جر المنفعة ولاتوسيع المنصب ، بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية»[٢].

وتتعدد رسائل محمد على إلى الأستانة تنفى «حصول المنفعة وتوسيع المنصب»، لكن ما ينفيه محمد على يدفعه لأن يدفع مندوبه فى الأستانة لعرض «ذلك على الباب العالى، وعلى المحلات العالية الأخرى»، فقام «بالإفادة والتفهيم ، بوجه التفصيل ، عن أن الوقت هو وقت بذل الهمة فى حصول الملتمس [٣]، وأيضا الأوان هو أوان إعادة إنجاز الوعد[٤]. وبدت فى الآفاق– حينئذ– بعض الآمال، فقد «عقد مجلس الشورى بضعة مرات، وفى المشورة الأخيرة ، تقرر الاستعلام عن أنه فى حالة توجيه ولاية الشام إلى محمد على كيف يكون النظر فى أمورها ، وبأى وجه تحصل المعونة، وتكون المبادرة لإدارتها [٥].

١– رسالة من محمد على إلى السلطان العثمانى بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٨١٠م، منشورة فى نفس المرجع ص ص٤٠٢–٤٠٤ .

٢– رسالة من محمد على إلى الباب العالى بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٢٨هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨١٣م، منشورة فى نفس المرجع ، ص ص٤٢٠–٤٢٤ .

٣– الملتمس هو ولاية الشام.

٤– المقصود مكافأته على ما قدم من خدمات للدولة العلية.

٥– رسالة إلى محمد على من مندوبه فى الأستانة بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠هـ، الموافق ٢٨ يناير ١٨١٥، منشورة فى نفس المرجع ، ص ص٤٣٣–٤٣٥ .

لكن الرياح أتت بما لم يشتهه محمد علي، بعد حصول «المصلحة» للعثمانيين في الحجاز على يدقواته ، تم التسويف في «مصلحته» في الشام فيقرر الهيمنة على ولاة وأمراء الشام، والتدخل بينهم إصلاحًا – أو إفساداً – لذات البين، والتوسط بينهم وبين الدولة العلية لأغراض «علوية». فقد تدخل لدى السلطان لتعيين يوسف باشا كنج- الذي عزل من منصبه والتجأ إلى محمد علي كما قلنا- بدلا من عدوه وعدو محمد علي- سليمان باشا- والي صيدا ، فصدر العفو عن يوسف باشا كنج «وقبل فيه ترجي باشا مصر وشفاعته»[1].

وفي الصراع الذي نشب بين عبدالله باشا الجزار وحليفه بشير الشهابي ضد درويش باشا والي دمشق ، وبعد تدخل مصر، جاء موقف السلطان مؤيداً للطرف الأول، وأوضح الفرمان «أن ما جاء به هو لخاطر محمد علي » [2].

بعدها ، لم يكن غريبا أن يطلب محمد علي من الأمير بشير الشهابي أن يكون أحد ذراعيه في الحرب، وأن يعلن عبدالله باشا الجزار أن مقاطعاته هي مقاطعات محمد علي، وأن حصن عكا هو من أقوى حصون حاكم مصر[3].

وأيضا لم يكن غريبا أن يراقب السلطان العثماني أطماع محمد علي، فيقلب له ظهر المجن. فلما قامت حرب المورة كرر محمد علي طلبه إلى السلطان بأن يضاف إليه حكم الشام بجانب حكمه لمصر، تعويضا عما تكبده الجيش المصري من خسائر في هذه الحرب ، ونظرا لرفض السلطان، فقد قرر محمد علي ضم هذه البلاد بالقوة.

١- يذكر أن يوسف باشا توفي قبل أن يعود إلى منصبه السابق .

انظر ، لطيفة محمد سالم : المرجع السابق ، ص٢٣ .

٢- نفسه، ص٢٥ .

٣- نفسه ، ص ص٢٥-٢٦ .

وعن التوقيت الذى اختاره محمد على لمحاربة السلطان، ومحاولته اقتناص بلاد الشام منه، فيمكن القول إنه اختار الوقت المناسب لذلك. ففى الوقت الذى كانت فيه الدول الأوروبية منهمكة فى مسائلها الداخلية، وتتنازع كل منها السيادة على أوربا بعد تصفية الامبراطورية النابليونية، وفى الوقت الذى أصبحت فيه الدولة العثمانية تمثل رجل أوروبا المريض المنهوك القوى ، نتيجة للثورات الداخلية التى لاحقتها فى كل جانب، ولحروبها المتعددة التى خرجت منها منهوكة القوى . وفى الوقت الذى قامت فيه الدولة العثمانية بتصفية الانكشارية الذين كانوا بمثابة العمود الفقرى للجيش العثمانى، انتهز محمد على كل هذه الفرص لإظهار قوته أمام السلطان محمود الثانى، وبخاصة أن جيشه كان فى حالة طيبة [١].

وقد تذرع محمد على فى ذلك بنزاعه مع عبدالله باشا الجزار حاكم عكا، الذى كان قد شجع الآلاف من الفلاحين المصريين الهاربين من عسف جباة ضرائب السلطة فى مصر ، باللجوء إلى ولايته ، ورفض تسليمهم إليه، فاتهمه بسوء نيته تجاهه ، وعدم وفائه بدين عليه، وابتزازه لأموال بعض التجار المصريين ، واستيلائه على تجارتهم فى بلاد الشام ومساعدتهم على تهريب بعض البضائع من الجمارك المصرية، ومن هنا قرر إرسال حملة لتأديبه ، وعين ابنه إبراهيم باشا قائدا لها ، وبالرغم من محاولات السلطان العثمانى التدخل لإصلاح ذات البين ، ورغبته فى إطفاء فتيل الحرب بينهما ، فإن محمد على كان مصراً على تأديب هذا الوالى، فأرسل طلائع جيشه إلى عكا فى ٧ جماد أول ١٢٤٧ هـ، الموافق أكتوبر ١٨٣١ ، فاستولت فى طريقها على يافا وحيفا دون مقاومة تذكر .

١- عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ، ص٩ .

وحرصا على عدم انفلات الأمر من الدولة العثمانية كرر السلطان محاولته لرأب الصدع بين الجانبين المتحاربين، ومن جانبه تظاهر محمد على بالولاء للدولة العثمانية ، وألمح إلى أن الهدف من حربه «أن يحفظ لمصر شرفها ومكانتها فى ظل الذات الشاهانية»[١] ، وأنه فى حربه إنما يحارب حاكما - شبه مستقل- خارجا عن طاعة الدولة، كما ألمح على لسان ابنه إبراهيم بأنه لامانع من تسوية الموقف، إذا قامت الدولة العثمانية بعزل عبدالله باشا والى عكا، وتعيين والٍ آخر حائز ثقة محمد على[٢].

ولما تعثرت المفاوضات نتيجة لعدم موافقة السلطان على مطالب محمد على ، أمر الأخير إبنه إبراهيم بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يتم فتحها غير آبه بنصائح السلطان ولابوعيده[٣].

هكذا أسقط فى يد الدولة العثمانية ، وأصبح عليها أن تواجه الرجل الذى كانت تستعين به فى الملمات، وهى تدرك ضعف موقفها، وتدرك أكثر أطماعه التى تصل إلى الأناضول «والتوغل فيها توغلاً بليغًا» [٤]، لذا كان عليها أن تتبع سياسة ذات وجهين : فهى تحاور

١- محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٢٣ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ م، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٢- نفس المصدر .

٣- عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ، ص١١ .

٤- على حد تعبير إبراهيم باشا، أنظر : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

محمد على ، وتحاول فى نفس الوقت تجميع قوات «من جميع أنحاء الأناضول والروم إيلى والبوسنة وبلاد الارناؤوط والأستانة»[١].

وتشور مخاوف إبراهيم بن محمد على وهو أمام أسوار عكا من ضربة العثمانيين القادمة له فى الشام أو لأبيه فى مصر أو التأثير عليهما معا .

لقد توقع إبراهيم بن محمد على أن يرسو الأسطول العثمانى أمام الإسكندرية أو أبى قير أو البرلس ، ويقوم – على الأقل– بمحاصرة السواحل المصرية ومنع نقل الذخيرة والمهمات إلى الشام مما يحرج القوات المصرية «ويذيقها ضائقة شديدة»[٢] ومن ثم فقد أهاب بوالده أن يخرج الأسطول المصرى إلى عرض البحر «عاريًا من كل زينة» ليفوت الفرصة على العثمانيين ، بل وطلب من والده أن يستدعى بعض القوات المصرية المتمركزة فى جزيرة كريت للمساعدة فى الدفاع عن السواحل المصرية.

لقد كان إبراهيم بن محمد على مبالغا فى مخاوفه ، ذلك أن الدولة العثمانية حشدت– بالكاد– نحو عشرين ألف مقاتل بقيادة عثمان باشا اللبيب ، والى طرابلس الجديد[٣]، وتحت

١– محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٠ ، بتاريخ آخر شوال ١٢٤٧هـ الموافق أول أبريل ١٨٣٢ م ، المشتملة على فرمان من السلطان العثمانى محمود الثانى باسناد منصب سر عسكر بلاد الشام لمحمد على باشا والى حلب.

٢– محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٢٣ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ م، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣– إضافة إلى من انضم إليه ممن لقيهم فى طريقه من الأكراد والعرب.

انظر محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩ ، مرسلة فى ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

إمرة محمد على باشا والى حلب الذى اسند إليه منصب سر عسكر بلاد الشام بصلاحيات كبيرة[١].

وصل جيش عثمان باشا إلى اللاذقية ، وخوفا على ولاية طرابلس، وصلت أوامر إلى إبراهيم بأن يقوم- بقوة كافية- بملاقاة هذا الجيش ، الذى نشأت عن وجوده أضرار كبيرة [٢]، والقضاء عليه .

لكن إبراهيم يطلب من والده إرجاء هذه الخطوة لأسباب عدة ، منها :

(أ) أن اللاذقية بلدة مكشوفة من كل الجهات .

(ب) أنها بعيدة عن عكا- حيث يتمركز إبراهيم بقواته- بمسافة عشرة أيام وقريبة من حلب مسافة يومين أو ثلاثة على الأكثر، فإذا تم طرد عثمان باشا منها وعادت قوات إبراهيم باشا إلى قواعدها ، لعاد إليها عثمان باشا مع قوات من حلب ، ولضاع المجهود سدى.

(جـ) لايمكن لإبراهيم باشا أن يبقى بعض قواته فيها لقلة الذخائر، والانشغال بحصار عكا.

(د) لنفس الأسباب الثلاثة السابقة، يصعب ترك قوة صغيرة خارج القلعة يمكن أن تتعرض للأخطار الشديدة[٣].

١- من «عزل ونصب ونفى وتأديب وترقية » انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٠ ، المشتملة على فرمان تولية محمد على باشا والى حلب سر عسكر بلاد الشام. بدون تاريخ (ولكن المرجح أنها فى رمضان ١٢٤٧ هـ فبراير ١٨٣٢م) .

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

لكن إبراهيم باشا لم يكن ليترك حلفاءه تحت التهديد، فيرسل إلى والى حلب مهددا بألا «يتعدى المكان الذى يقيم فيه، وألا يتسبب فى اشعال دائرة الحرب»[١]، ويرسل فى نفس الوقت الخبراء والأدلاء لرسم خطة الدفاع عن طرابلس، فيكتشف هؤلاء أنها محمية طبيعيا، وأنه يمكن الدفاع عنها بعدد قليل من الرجال[٢]، بعدها طمأن إبراهيم والده من ناحية البر والبحر أيضا ، حيث أخبره أن تحصينات قد جرت فى قلاع طرابلس وبيروت وصيدا وصور وحيفا ، بحيث يتفرغ هو وقواته لحصار عكا، وأنه جاهز استعداد للطوارىء فيما لو هاجمت قوات عثمان باشا طرابلس ، حينئذ تستطيع القلعة والقوات الموجودة فى طرابلس المقاومة لحين قدومه، وحصار المحاصرين ، واحاطتهم «إحاطة السوار بالمعصم»[٣].

على أن خطط إبراهيم باشا كلها كانت مرهونة بسلامة الأسطول المصرى . لذلك نجد إبراهيم باشا يناشد والده- بالله وبالرسول- أن يسارع بإخراج الأسطول إلى عرض البحر «عاريا من كل زينة» فيأمن ضربه فى مرابضه ، ويحقق وجهتين فى وقت واحد، أو كما عبر إبراهيم : «الوجه الأول أن أسطولنا لايدعهم أن يلقوا مراسيهم فى أى جهة بإذن الله، فيستحيل عليهم أن يرسوا فى مياه مصر، والوجه الثانى أنهم لن يستطيعوا أن يحاصرونا فى هذه الجهات، فتنحصر مهمتنا إذا فى البر، فأيما رجل أرسلوه فإنهم لايستطيعون إرسال رجل أشجع وأقوى

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩ ، فى رمضان ١٢٤٧هـ الموافق فبراير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- ذكر إبراهيم لوالده أن قوة مركبة من خمسين رجلا مجهزين بالمدافع ومعتمدين على التحصينات الطبيعية يمكن أن تصد جيشا كبيرا . انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م، من ابراهيم باشا إلى محمد على.

من عبيدكم إبراهيم، وإن ساقوا أي نوع من الجنود لايجدون مثل جنود العرب الذين جندتموهم وأرسلتموهم إلى معيتى»[١].

تحددت أولويات إبراهيم باشا– رغم أوامر والده– فى تأمين مصر أولا، ثم فتح عكا، ولهذا فهو – من ناحية – يرى عدم إتعاب جيشه باستخدامه فى معارك عديمة الجدوى، وجعله مستعدا للطوارىء ومتحفزا للوثوب على الأعداء ، إذا حدثتهم أنفسهم بالهجوم ، بل ومطاردتهم إلى داخلية الأناضول[٢] . ومن ناحية أخرى، فهو– على بعد الشقة – ينظم تقوية سواحل مصر الشمالية ، ويبدى عدة ملاحظات بخصوص هذه السواحل، منها :

(أ) تنظيم الإشارات من البرلس إلى حصن العرب .

(ب) تنظيم الدفاع فيما لو تم إنزال قوات على البر.

(جـ) إعطاء التنبيهات والأوامر اللازمة للعمل بهذه التدابير لرؤساء الجنود (الضباط وصف الضباط) قبل حصول الحوادث بمدة كبيرة.

(د) لدى الحاجة ، يلزم إنشاء معابر ومعديات وإقامة جسور وكبارى عبر النيل لنقل المهمات والعساكر للنقط اللازم الانتقال إليها.

(هـ) إنشاء بريد الخيالة بين دمياط والإسكندرية .

(و) تمهيد الطرق اللازمة لجر ونقل المدافع ، وتهيئة زوارق ومراكب لنقل الجنود والمهمات .

(ز) إجراء تعديلات محددة فى بعض المناصب القيادية .

١– محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢ ، من إبراهيم باشا إلى مصر على .

٢– محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

(حـ) إرسال النقالات لنقل آلايين مدربين تدريبا تاما وقويين (جدا) من جزيرة كريت .

(طـ) إجراء تغييرات محددة فى مواقع بعض القوات .

(د) إحداث وحدات جديدة من الخيالة .

ومن ناحية عكا، كانت خطة إبراهيم باشا تشديد الحصار عليها من البر والبحر، وضرب قلعتها بالقنابل من كل الجهات «حتى يذوقوا الموت، فيضطرون إما إلى فتح أبواب القلعة، وإما إلى القبض على عبدالله باشا وتسليمه»[١].

على أن مسألة أخرى بدأت تقلق إبراهيم باشا وأباه معا، وهى مسألة ولاء ولاة وأمراء الشام، الذين كانوا الأكثر حيرة، وكانت حيرتهم إلى أى الطرفين ينضمون، ولمن تكون الغلبة ! فاتصلوا بوالى حلب فى الوقت الذى أوفدوا فيه وفدا منهم إلى إبراهيم باشا «ليعلموا إن كان له رغبة فى ولائهم أم هو راغب عنهم». وكان طبيعيا أن يطمئنهم إبراهيم باشا أنه معهم، وأنه سوف يرسل إليهم قواته لاحقا بعد انتهاء مهمة عكا لتؤمنهم وتطرد القوات التركية إلى الشمال. كما أمدهم بكتاب إلى بقية الولاة والأمراء يؤكد على الصداقة والإخلاص[٢].

وعلى نفس الوتر، يضرب والى حلب وسر عسكر الشام، فها هو يرسل خطابًا إلى أهل حمص يحذر فيه من «متابعة أهل البغى والفساد، ويدعو فيه إلى طاعة الدولة السلطانية ولو كان فى ذلك حتف أنفسهم»[٣].

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٥ (بدون تاريخ)، مكاتبة مرسلة من معسكر إبراهيم باشا إلى مصر .

٣- ذكر والى حلب فى خطابه أن «أربعين ألفا من عساكر المنصورة المحمدية قد دخلت (الآن) حدود إنطاكية واللاذقية، وأن السطوة السلطانية قد ملأت البر والبحر، وعمت السهل والوعر، فالذى يستقيم على=

تحدد مفتاح الشام كله عند أسوار عكا، فلو اقتحم إبراهيم باشا بقواته القلعة لدان له الشام- مكانا وسكانا- ولتقدم شمالا وبسرعة قبل قدوم الجيش التركى القادم من الشمال والذى وصلت - حينئذ - طلائعه. ولو طال الحصار لزادت معنويات المدافعين وقل حماس المهاجمين، ولتردد ولاة الشام، وتشجعت الدولة العثمانية بارسال قواتها بسرعة لتحصر المحاصرين بينها وبين أسوار القلعة[1].

ولما كانت عكا محصنة بأسوار متينة ، استعصت على نابليون بونابرت من قبل، وتحميها أبراج ، ومحاطة بخندق عميق بين جبلين متقابلين يمكنه اعاقة القوات المصرية المتقدمة ، فإن الأمر لم يكن سهلا أمام إبراهيم باشا ، وزاد من صعوبته استبسال قوات حامية عكا ، ودفاعها عن مدينتها دفاع الأبطال ، مما أعاق تقدم القوات المصرية ، وزاد من فترة الحصار.

وبصرف النظر عن تبرير إبراهيم باشا بتأخر فتح عكا بفشل الأسطول المصرى فى دك حصون عكا [2]، فإن طول الحصار قد أعطى الفرصة لتكوين جيش

= جادة الانقياد ، ولايعدل عن طريق الرشاد ، ينال الأمن والسلامة، والذى يتبع أقاويل المخالفين ، ويصغى لأقوال الباغين ، يحل به (عن قريب) النكال والثبور ولاتنفعه بعد ذلك الندامة.

انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٢٣ ، صورة الوثيقة العربية رقم $\frac{٢٧}{٣}$ بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢م.

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ (بدون تاريخ) ، من محمد على باشا والى حلب وسر عسكر الشام إلى الباب العالى.

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ. الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

عثماني[1] في منطقة حماه ، مما أضطر إبراهيم باشا إلى مغادرة عكا تاركا إياها للقوات المحاصرة ، وتقدم على رأس قول مؤلف من عشرة آلاف جندي باتجاه طرابلس . فلما وصل إلى مشارفها ، استولى الفزع على عثمان باشا اللبيب فترك مدفعيته وعتاده وولى الأدبار.

قرر إبراهيم باشا مطاردة عثمان باشا . فتجاوز لبنان وأدرك حمص ، وهناك دارت بين الفريقين معركة الزراعة[2] التى انتهت بهزيمة وارتداد عثمان باشا إلى حماه ، ينتظر وصول الإمدادات .

أما إبراهيم باشا فقد اتجه بقواته إلى بعلبك[3] ينتظر وصول الامدادات التى جاء بها ابن أخيه عباس باشا ، بحيث كونت مع القوات التى كانت معه حاجزا بين القوات التركية فى الشمال وعكا فى الجنوب بحيث يأمن تدخلا تركيا عند اقتحام عكا [4].

وهكذا بعد أن نظم – مع سليمان الفرنساوى– الأوضاع الجديدة لقواته فى شمال سوريا

١– كانت طليعته قوات عثمان باشا اللبيب التى هاجمت طرابلس .

٢– قرية جنوبى حمص.

٣– لبعلبك موقع استراتيجى هام يسيطر على إقليم الشام، وهى على مسافة متساوية من دمشق وبيروت وطرابلس.

انظر عبد الرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص٣١٦ .

٤– تتضح أهمية بعلبك كحاجز أن إبراهيم باشا ترك فيها أركان حربه سليمان الفرنساوى مع عباس باشا حفيد محمد على بقوات كافية.

انظر ، محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

وسطها ، واطمأنت نفسه للموقف العسكرى العام، عاد إلى عكا العتيدة[١] وعزم على الخلاص نهائيا من اخضاعها وفتحها[٢] ، لأنها لم تزل شوكة فى جنب قواته ، علاوة على ما وصل إليه من أن جيش المشير حسين باشا- سر عسكر الجيش العثمانى- قد اجتاز البوسفور[٣] وتقدمت طلائعه فى خطوات حثيثة[٤].

وإزاء هذا الخطر الوشيك ، طمأن إبراهيم باشا والده- قبل أن يغادر إلى عكا- بأنه «إذا فرض ووقعت أى حركة من جانب العدو، فيمكننا أن نلحق بهم (فى بعلبك) فى يوم ونصف اليوم»[٥]. وبعد يومين من وصوله إلى عكا، اجتمع مع أركانه وقرروا فتح الشام بعد فتح

١- التى أغراها غياب إبراهيم فخرجت قواتها من معاقلها وهجمت على القوات المصرية ونجحت فى تدمير بعض استحكامات هذه القوات وردها إلى الوراء .

انظر ، عبد المنعم الجميعى : المرجع السابق ، ص١٤ .

٢- فى رسالة من محمد على إلى إبراهيم باشا، قال له : «وإذا وفقنا لفتح عكا تتقوى مصلحتنا الخيرية، وإن تأخر فتحها فليس فى ذلك مدخر ، وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفلون منها- لاقدر الله- فتسوء الحالة من كل جهة ».

انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ م، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- فى ١٢ أبريل ١٨٣٢م .

٤- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق، ص٣١٧ .

٥- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

عكا مباشرة ، وحتى إذا فشل اقتحام عكا فقد تقرر فتح الشام بعد ترك قوة كافية أمام أسوار عكا لحصارها [١].

على أن مفاجأة غير سارة كانت تنتظر إبراهيم باشا ، لقد أصدر السلطان خطا شريفا يرمى فيه مصر- وحاكمها- بالمروق ، ثم تبعه بفرمان شاهانى بتجريد محمد على وإبراهيم وإباحة دمائهما ، بعدها كان طبيعيا أن يصدر مفتى عكا وعلماؤها فتوى بأن «من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة ومن يموت من عساكر محمد على يدخل النار»[٢].

على أن الخط الشريف ، والفرمان الشاهانى والفتوى وإن أثرت بالإيجاب على المدافعين عن عكا ، إلا أنها لم تؤثر بالسلب على المحاصرين ، ذلك أن إبراهيم باشا حصل على موافقة جماعية من قواته بأنهم «عبيد سيد واحد» هو والده بالطبع[٣] ، من ناحية أخرى فقد زاد قلق ولاة وأمراء الشام ، فيرسلون مندوبا عنهم «لمشاهدة حالة عكا .. وتعرف ما إذا كانت لدى إبراهيم باشا نية الهجوم على الشام أم لا» [٤].

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المنسوخة عن جرنال يوم الخميس فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢ .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، صورة المرفق العربى للوثيقة رقم ١٤٠ ، بدون تاريخ .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦ ، من إبراهيم يكن إلى محمد على ، (بدون تاريخ) .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المستخرجة من جرنال يوم الخميس ، ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

سقوط عكا :

سقطت عكا- مفتاح حروب الشام الأولى- بعد قتال يوم واحد ، بينما استعصت على نفس الفاتحين قرابة نصف العام، وهو ما يطرح سؤالا مزدوجا : ما الذى أطال الحصار ، وما الذى عجّل بالانتصار ؟

وللإجابة نعرض - أولا- لعكا، مكانا وسكانا ، ثم نعرض- ثانيا- للأحداث على شكل يوميات ترصد الفعل ورد الفعل بين قوتين - تفصل بينهما أسوار عكا- وقوى أخرى تتوزع فى دائرة - لم تتسع بعد- مماسها تركيا ومصر ، وذلك حسب ما يتوفر لنا من وثائق ، نعرضها على شكل يوميات .

وبداية نؤكد أن الاستيلاء على عكا لم يكن بالأمر اليسير، فهى التى وقفت صامدة أمام عبقرية نابليون وعزيمته ، فقد كانت محصنة بأسوار متينة، وتحميها أبراج من الشرق والشمال، أما من جهة البحر فكانت الأسوار أقل متانة من الأسوار القائمة من جهة البر، والمياه المجاورة لها قليلة العمق لاتسمح للسفن الكبيرة بالرسو على مقربة منها، وكانت جميع الحصون فى حالة جيدة وكانت حامية المدينة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل[1] ، ومعهم مدفعية قوية، وكميات وفيرة من المؤن والذخيرة والمياه والطعام ، تكفى الحامية لحصار طويل الأمد، وقد زادت منعتها بعد الإصلاح الذى شملها عقب انسحاب الفرنسيين[2].

ولقد زاد من صعوبة المهمة أن قلعة عكا كانت محاطة بخندق عميق بين جبلين متقابلين يمكنه إعاقة القوات المهاجمة [3].

١- يضاعف البعض العدد فيجعله ستة آلاف جندى ، أنظر

Dodwell, H: Op. cit. pp: 110-111 .

٢- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص. ٣١ .

٣- عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق ، ص ص. ١٠-١٢ .

أما الأحداث المرتبطة بحصار ثم فتح عكا، فيمكن رصدها - تمهيدا للإجابة على السؤال السابق - فى ٢٠ يومية على النحو التالى:

١- ٧جماد أول ١٢٤٧هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٨٣١م .

أرسل محمد على طلائع قواته إلى عكا، فاستولت فى طريقها على يافا وحيفا دون مقاومة تذكر(١).

٢- ٣ رجب ١٢٤٧ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١م.

ضربت الحملة المصرية حصارها حول عكا ، وأرسل إبراهيم باشا إنذار إلى والى عكا يطالبه فيه بتسليم القلعة حقنًا للدماء ، ونتيجة لرفض عبدالله باشا لهذا الإنذار، أمر إبراهيم باشا بضرب عكا بالقنابل من جميع الجهات (٢).

٣- ٣ رجب ١٢٤٧ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١م

لكى يتفادى محمد على المصاعب التى يمكن أن تواجه قواته أمام حصون عكا، وتوفيراً لجهوده ، فقد أوعز إلى إبنه إبراهيم بمحاولة استمالة أفراد الحامية من جنود عبدالله باشا بالمال، عن طريق دفع رواتبهم المتأخرة ، ووعدهم بالحماية والتأمينات الكافية، ولكن ابنه لم يرحب بهذه الفكرة، بل رأى أنه من العار فعل ذلك، وأن الطريقة الموصلة إلى استمالة هؤلاء الجنود هى تشديد الحصار عليهم من البر والبحر، وضرب القلعة بالقنابل والمدافع من كل الجهات ، حتى يذقوا الموت، فيضطروا إما إلى فتح أبواب القلعة ، وإما إلى القاء القبض على عبدالله باشا وتسليمه (٣).

(١-٢) عبد المنعم الجميعى: المرجع السابق ، ص ص ١٠-١٢ .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٤- ٤ شعبان ١٢٤٨هـ الموافق ٨ يناير ١٨٣٢م.

بدأ- وقت السحر، قبل الصبح بساعة - إطلاق النيران على القلعة من كل جهة ، وقد أكد إبراهيم باشا أن النيران لن تنقطع إلا بعد دك الأسوار الشرقية وجعلها في مستوى الأرض ، وبعد تمام دكها سيملأ الخندق بحزمات القش لتمر عليها قواته [١].

٥- بدون تاريخ [٢].

في مقابلة مع وفد من أمراء الشام، أمل إبراهيم باشا أن تنتهي مهمة عكا في غضون عشرة أيام، وأخبر الوفد بأنه لم يشرع (بعد) في ضرب عكا، لأنه مشغول بنقل المهمات والجبخانات[٣] وإنشاء المتاريس والطوابي[٤].

٦- ٢١ رمضان ١٢٤٨ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢ م

ضاق صدر محمد علي من طول الحصار بدون نتيجة، لكن إبراهيم باشا طمأنه بأن أجل عكا قد اقترب اقترابا محسوسا ، واعترف بالتقصير الذي التصق بقواته، إلا أنه وعد والده بأنه لن يتوانى (من الآن) ، ورجاه أن ينتظر بشري فتح عكا (الغاية) ثمانية أيام[٥].

٧- ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م

لم يلق إبراهيم باشا بالا لعثمان باشا الليبب الذي هدد طرابلس، وذلك لانشغاله بحصار عكا[٦].

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧هـ، الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٢- نرجح أن تكون يوم ١٩ أو ٢٠ رمضان ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢١-٢٢ فبراير ١٨٣٢ م.

٣- أي مخازن الأسلحة .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٥ (بدون تاريخ) ، من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٥- ٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٨ يناير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٦- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٨ يناير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٨- بدون تاريخ[1].

لم يلق إبراهيم باشا - مرة أخرى - بالا لتهديدات والي حلب وسرعسكر بلاد الشام، وذلك لأن مصلحة عكا لم تكن قد انتهت بعد، وأمل أن يتم ذلك بعد نحو ثمانية أيام[2].

٩- ٦ شوال ١٢٤٧ هـ الموافق ١٨٣٢م

تمت محاولة جادة لاحتلال القلعة، حيث تم احتلال نصف سورها الشرقى لكن الجنود اضطروا إلى التراجع نظرا للإصابات التي لحقت بضباط المقدمة ولأنهم كانوا فى حالة يتعذر معها الحركة بسبب شدة الإزدحام[3].

١٠- بدون تاريخ[4]

أصدر مفتى وعلماء عكا فتوي فحواها: أن من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة، ومن يموت من عساكر محمد علي يدخل النار[5].

١- نرجح أن يكون تاريخها ٢٩-٣٠ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢-٣ مارس ١٨٣٢م.

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩، بدون تاريخ، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٠، بتاريخ ١١ شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ١٤ مارس ١٨٣٢م. من الأميرال عثمان نور الدين سر عسكر الأسطول المصرى إلى محمد على.

جدير بالذكر أن إبراهيم باشا اعترف فى رسالة تالية بالسبب الحقيقى لفشل الهجوم علي قلعة عكا، وهو بلاء المدافعين عن قلعتهم، وذكر أن «جنوده لما دخلوا القلعة ارتبك العدو، وبعد أن بقى أفراده فى حالة ذهول لمدة ربع ساعة، ثابوا إلى رشدهم، وأخذوا يضربون المهاجمين ضربا حملهم علي الرجوع».

انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢، بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٦ مارس ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلي محمد على.

٤- نرجح أن يكون تاريخ هذه الفتوى لاحقاً لإعلان السلطان العثمانى عصيان محمد على وخروجه، وذلك في آخر ذى القعدة ١٢٤٧ هـ، الموافق الأول من مايو ١٨٣٢م.

٥- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٥، صورة المرفق العربى للوثيقة ١٤٠، بدون تاريخ

١١- ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٤ مايو ١٨٣٢م

أبلغ محمد على إبنه إبراهيم بأن المحصورين في القلعة يرغبون في محادثة المحاصرين، ويبرر إبراهيم باشا عدم علمه بأن المحصورين بلغوا - بعد الهجوم الفاشل - حد الثرثرة، لذا فقد أصدر الأوامر إلى جنوده بعدم الرد عليهم[1].

١٢- ٩ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٣٢م

رغم وصول الأسطول المصرى، فلن يتم الهجوم إلا بعد عشرة أيام، حيث لم تنته مصلحة هذه الجهة، وأعمال الطابية والسرداب جارى العمل بهما[2].

١٣- ١٠ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١١ مايو ١٨٣٢ م

رفض رجال عبد الله باشا التفاوض، وأطلقوا النار على مندوب إبراهيم باشا[3].

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧، بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٤ مايو ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

جدير بالذكر أن إبراهيم باشا بحث الموضوع مع بعض القادة، ووجد أنه لم يلاحظ في جنود عكا امارات الملل واضطراب الحالة النفسية، بل على العكس كانوا يكيلون الشتائم والسباب، وغير أنه منذ ثلاث ليال، أي منذ وصول أسطولنا يشاهد فيهم الخوف، لذا فقد صدرت الأوامر بمناداة حامية عكا من وراء الاستحكامات ودعوتهم للتسليم».

٢- انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣، المستخرجة من جرنال يوم الخميس ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٤ مايو ١٨٣٢م.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨، بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢م، من معسكر عكا إلى محمد على.

١٤- ١٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٣٢م

أبلغ إبراهيم باشا والده بأنه جاء عكا (ليلة أمس) استعدادا للزحف.... وهو ذاهب غداً، وباذل جهد طاقته فى الانتهاء من تقل المهمات[1].

١٥- ١٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م

تأكيد من محمد على بسرعة إنهاء مسألة عكا، وتهديده بالحضور شخصيا لإنهاء المسألة... وبعد اعتذار إبراهيم باشا عن فشل الهجوم السابق، أكد عزمه على أن يشارك الجنود فى الهجوم، والصعود إلى القلعة بنفسه.. وأنه سيقطع أيدى من لا يستعملون أيديهم... وأرجل من لا يستعملون أرجلهم... وألسن من لا يستعملون ألسنتهم[2]... وفى الجملة فإن هذه المسألة ستنتهى (هذه المرة) ـ كما أكد إبراهيم باشا ـ بفضل همة محمد علي التى تهد الجبال[3].

١٦- ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م

ردا على رأى إبراهيم باشا بردم الخندق المحيط بقلعة عكا بالقش، خشى محمد علي من قيام القوات المدافعة بإشعال النيران فى هذا القش فى أثناء مرور القوات المصرية عليه، وبناء

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩، بتاريخ ١٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٢- برر إبراهيم باشا فشل الهجوم السابق «بخرس الضباط» أى عدم تحريضهم الجنود أثناء الهجوم بالصوت العالى. انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٣٢٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧ بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- نفس الوثيقة .

على ذلك تم الاتفاق على تفجير بعض الألغام فى هذا الخندق، وضرب الأسوار المجاورة له بالمدافع حتى تنهدم فيردم بالأتربة، وتستطيع القوات الزاحفة عبوره[١].

١٧- ١٩ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢ م

عاين إبراهيم باشا المنشآت العسكرية الجارى العمل بها، لكنه وجد أنه لم يتم من هذه الإنشاءات إلا حفر سرداب واحد، وقليل من أشغال إحدى الطابيتين... وأن الأدوات والمهمات اللازمة لم تنقل إلى منطقة القتال بعد... وبناء علي ذلك فقد نظم كل شغل من أشغال هذه المنشآت وعين عليه مأمورا خاصا، فالمنتظر أن تتم بإذن الله هذه الأعمال (الليلة أو غدا)[٢].

١٨- ٢٢ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٣٢ م

محاولة محمد على رفع روح قواته المعنوية، واجماع الجنود على أنهم «عبيد سيد واحد» هو محمد على[٣].

١٩- ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م

إجتمع إبراهيم باشا مع أركانه، وأعلن أن فتح عكا مؤمل عقب الهجوم الذى تقرر القيام به (هذه المرة!) وسوف يكون الهجوم على القلعة من أربعة مواضع، والمأمول من الله فتحها بعد

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٠، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م. من محمد على إلى إبراهيم باشا.

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٤، بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦، بتاريخ ٢٢ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٣ مايو ١٨٣٢م. من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد علي.

هذا الهجوم . وفى إجابة عن وضع الشام فى خطط إبراهيم باشا ، أكد أن الهجوم على عكا يقع خلال ثلاثة أيام ، ويتم التحرك نحو الشام بعد خمسة أيام من الهجوم[١] .

٢٠- ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م

تم الهجوم على قلعة عكا (اليوم) فى تمام التاسعة والربع صباحا ، من أجنحة ثلاثة حسب الخطة الموضوعة قبلا (!) وتمكن الجنود المصريون من الصعود على بدنات القلعة ، فقاتلوا العدو زهاء نصف ساعة ثم دفعوه إلى الوراء ، ثم إذا بهؤلاء العساكر ولوا أدبارهم للعدو لسبب غير معلوم ، ثم أخذوا يقذفون بأنفسهم من بدن القلعة إلى الخندق ، واستمر سيلهم يتدفق إلى الخندق هكذا ، حتى لم يبق فرد منهم على بدن القلعة ، لكن إبراهيم باشا استل سيفه ، واعترض هؤلاء العساكر المدبرين ، فتمكن من ردهم إلى بدن القلعة ،وأعاد الحال إلى ما كان عليه [٢] فقد أفاد تقرير فى حوالى العاشرة والربع - أى بعد ساعة من القتال - أن الجنود الذين هجموا من ناحية الزاوية قد اكتسحوا العدو أمامهم ، أما الذين صعدوا إلى القلعة من فوق الباب، فما زالوا يحاولون الدخول مستبسلين فى الهجوم[٣]. وبعد حوالى ساعتين من الهجوم - أى فى الحادية عشرة والربع - وصل خبر من ابراهيم باشا بأن المهاجمين

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المستخرجة عن جورنال يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الإفادة رقم ١٢٧ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٣٠ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق مايو ١٨٣٢م.

استولوا على المدافع الموجودة على بدنات القلعة[1] بل وحّول الصالح منها للعمل لضرب القلعة من الداخل[2].

وأفاد تقرير آخر أن جنود العدوقد التجأو إلى البدنات التى فى برج الخزينة ، وبرج الكريم، وجهة السراى والبحر ، وأن الجنود المصريين قد دخلوا من جهات شتى ، وأخذوا فى إرهاق العدو والتشديد عليه [3] وبعد تبادل لإطلاق النار - بالمدافع والبنادق - لبضع ساعات ، أرسل إبراهيم باشا بعض الأشخاص لينادوا فى المدافعين كى يطلبوا الأمان ، وهو الأمر الذى تم بعد العصر ، حيث جاء وفد من أهل المدينة لمقابلة إبراهيم باشا حيث أعطاهم الأمان وبعد المغرب أوفد إبراهيم باشا أحد ميرلوا لاته لكى يطلب من عبدالله باشا مغادرة القلعة حالا[4] وبالفعل حضر عبدالله باشا إلى مقر إقامة إبراهيم باشا معلنا الاستسلام ،حيث أمنه إبراهيم

١- نفس المصدر .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٢٧، من معسكر ابراهيم باشا بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٣٠، من معسكر ابراهيم باشا إلى محمد على ، بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢٨، من معسكر ابراهيم باشا بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

باشا على نفسه - دون أمواله - عكس الحال مع أهل عكا الذين أمنهم على أرواحهم وأموالهم[١] - وهكذا وفق ابراهيم باشا فى إزالة عقبة عكا[٢] .

إتصالا بما سبق ، هناك بعض الملاحظات التى يمكن أن تساعد فى الإجابة على السؤال الذى طرحناه ، ما الذى أطال الحصار ؟ وما الذى عجل بالانتصار ؟

أما الملاحظة الأولى ، فهى عدم إشارة الوثائق إلى إشتراك الأسطول المصرى فى ضرب عكا تهيئة للهجوم ، أو أثناء تبادل الضرب ، رغم صرخات ابراهيم باشا السابقة لوالده بأن « يتكرم بتجهيز الأسطول بكل اهتمام ودقة ، واخراجه مع قباقين [٣] فى أقرب وقت [٤]. ولما كان نفس الأسطول قد فشل فى ضرب عكا من قبل[٥] نظرا لما أشرنا اليه من قلة عمق المياه المجاورة لعكا بما لايسمح للسفن الكبيرة بالرسو على مقربة منها ، فإن دور هذا الأسطول - رغم ذلك - كان مؤثرا ، وتمثل تأثيره فى حماية القوات المصرية المحاصرة لعكا من الحصار بواسطة الأسطول العثمانى ، وإمداد هذه القوات بما تحتاجه ، فى نفس الوقت الذى يحرم حامية عكا

١- نفس المصدر .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٣٣ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

٣- القباق عبارة عن بارجة حربية كبيرة .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢م. من ابراهيم باشا إلى محمد على .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على .

من مثل هذه الإمدادات ، إضافة إلى العامل النفسى ، حيث اعترى رجال الحامية الخوف بعد مشاهدة قطع الأسطول المصرى فى مياه عكا ، قبل الهجوم الأخير[١] .

أما الملاحظة الثانية فهى كثرة الوعود التى وعد بها إبراهيم باشا والده أو مندوبى الشام ، ولم تتحقق بفتح عكا ، والتى بلغت ـ على الأقل ـ خمسة وعود ، أما الوعد الذى تحقق بالفعل[٢] فكان يوم ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م، حيث أكد إبراهيم باشا أن الهجوم على عكا سيقع بعد ثلاثة أيام ، ويتم التحرك نحو الشام بعد خمسة أيام من الهجوم . وقد تحقق الشق الأول من الوعد ، بينما تأخر الشق الثانى حتى العاشر من محرم ١٢٤٨هـ، الموافق التاسع من يونيو ١٨٣٢م .

وقد يكون السبب تكتيكا « إبراهيميا » بتشديد الحصار على عكا من البر والبحر، وضرب القلعة بالقنابل والمدافع من كل الجهات ، حتى يذوقوا مرارة الموت ، فيضطروا إما إلى فتح أبواب القلعة ، وإما إلى القاء القبض على عبدالله باشا وتسليمه[٣] .

ولكن من المؤكد أن فشل هجوم السادس من شوال كان له أثر فى هذا التأجيل المتوالى[٤].

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣ ، المستخرجة من جرنال يوم الخميس ٣ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٤ مايو ١٨٣٢م .

٢- إضافة إلى محاولة الهجوم الفاشلة التى تمت يوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ، الموافق التاسع من مارس ١٨٣٢م .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧هـ، الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١م. من ابراهيم باشا الى محمد على .

٤- أشرنا من قبل إلى أن أهالى عكا كالوا الشتائم والسباب للقوات المصرية ، لدرجة منع معها إبراهيم باشا جنوده من الرد عليهم ، وذلك لسوء وقع هذا الفشل .

وتحسبا للهجوم التالى - وحتى يكون الأخير - أشرف إبراهيم باشا بنفسه على الاستعدادات، فوجد أوجه تقصير عالجها باشرافه المباشر[١] ، مما تسبب في بعض التأخير .

أما الملاحظة الثالثة فهى إصرار إبراهيم باشا على الانتهاء من مسألة عكا ، رغم أوامر والده مراراً [٢] ، بل وخوفه [٣]. ورغم ترك إبراهيم باشا لعكا - بعد ضغط محمد على - لمقابلة قوات قادمة من الشمال ، ثم عودته إلى الجنوب ، ورغم إتفاقه مع أركان حربه قبل الهجوم الأخير ، بالتحرك نحو الشام لو فشل هذا الهجوم ، بعد ترك قوة كافية أمام أسوار عكا لحصارها [٤]، إلا أنه كان يصر دائما على العودة لفتح عكا ، ولايفسر هذا الإصرار - فى رأينا - خطورة حقيقية من عكا تضع - مع الجيش العثمانى - قوات إبراهيم باشا بين فكى كماشة - بقدر مايفسره « أن يحفظ لمصر (ولنفسه) شرفها ومكانتها »[٥] أو أن ينهى المسألة » رفعا لمكانة ولى النعم (محمد على) وإعلاء لشأنه ، وهياج بحر حميته الخديوية[٦].

١- محافظ عابدين و محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٤ ، بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢م، من ابراهيم باشا إلى محمد على .

٢- أنظر على سبيل المثال : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣- سبق أن أشرنا إلى رسالة محمد على إلى إبنه ، والتى قال له فيها « وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفذون منها - لاقدر الله - فتسوء الحالة من كل جهة » .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥، المستخرجة عن جرنال يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٦- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧ ، بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

أما الملاحظة الرابعة ، فهى تلك الروح العالية التى تحلى بها المدافعون عن عكا ، والتى تجلت فى مظاهر عدة منها : صمودهم للحصار الطويل، رغم الضغط المتواصل ، وصدهم لهجوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ (التاسع من مارس ١٨٣٢م) ، رغم فارق موازين القوى ، وجرأتهم فى الخروج من القلعة ـ بعد ما غادر إبراهيم باشا الى الشمال لمقابلة قوات عثمان باشا اللبيب ـ وإحراجهم القوات المصرية المحاصرة وزحزحتها من مكانها[1] . ثم رفضهم للتسليم ، واطلاق النار على مندوب ابراهيم باشا [2] . وحتى أثناء الهجوم الأخير ـ وحسب البلاغ عن أعمال الجيش المصرى ـ لم يصغ أهل عكا لنداء إبراهيم لهم بالتسليم وإعطائهم الأمان ، وبدلا من ذلك لوحوا له بسيوفهم [3] .

ومع هذا ـ مع الحماس والروح العالية ـ كانت مسألة عكا محسومة مقدما ، وكانت مسألة وقت ، حيث ظهرت ـ مع الوقت ـ عوامل أضعفت من ذلك الحماس ، وتلك الروح العالية ، وهو الأمر الذى سنعرضه بطريقة « ديالكتيكية » ـ أى الجمع بين الشئ ونقيضه ـ كما يلى :

(أ) كانت عكا متينة التحصين ، لم تستعص فقط على نابليون ، بل وزادت مناعة بعد رحيله بما أدخل عليها من تحسينات ، ومع هذا لم تكن لتصمد للأبد أمام ضرب المدافع وسقوط القنابل . فإن حجرا يسقط ، ينخلع معه قلب مدافع ، ولايتيسر إعادته إلى مكانه وقت الحرب .

١- عبدالمنعم الجميعي : المرجع السابق ، ص ١٤ .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨ ، بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ١١ مايو ١٨٣٢م ـ من معسكر إبراهيم باشا الي محمد علي .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢٨ ، بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م ـ بلاغ عن أعمال الجيش المصري .

(ب) كان من أسباب صمود عكا أمام نابليون مساعدة الأسطول العثمانى لحاميتها من البحر ، وهو ماتوفر لها فى أيام الحصار الأولى ، وأمام استغاثات إبراهيم باشا المتوالية ـ كما أوضحنا ـ ظهر الأسطول المصرى أمام سواحل الشام بعامة وعكا بخاصة، فتوارى الأسطول العثمانى ، وتوارت معه شجاعة الشجعان شيئا فشيئاً .

(جـ) وعلى ذكر العثمانيين ، فإن جيشا عثمانيا يطول انتظاره ، ويقل انتصاره، كفيل بخفض الروح مهما كانت عالية ، عكس الحال مع القوات المصرية التى كانت تتحرك شمالا لتحقق الانتصار ، وتعود جنوبا لتواصل الحصار .وحتى الفتوى التى أصدرها السلطان العثمانى ، لم تحرج محمد على كثيرا، فالسيف أصدق إنباءاً من الكتب ، ولاشك أن إبراهيم باشا قد أدخل فى رأس جنوده أن من يموت من عساكره يدخل الجنة، ومن يموت من عساكر عكا يدخل النار ، ولن يعدم فى ذلك فتوى لو أراد .. إنه لعب فى المنطقة المتداخلة بين الدين والسياسة .. إن جنود محمد على فى نظر السلطان العثمانى ورجاله « مخالفون » و« خارجون » ، كذلك فإن جنود السلطان « مخالفون» فى نظر محمد على وقواته[1] .

(د) رغم أن عبدالله باشا الجزار وجنوده ، دخلوا التاريخ مرتين ، مرة يوم قاوموا نابليون.. ولم يدخلوه عكا .. وهذه المرة .. وقد قاوموا القوات المصرية ، وإن خرجوا من عكا ، رغم ماسبق، فإن إبراهيم باشا ورجاله قد دخلوا التاريخ للسبب الثانى ، ولأنهم ـ أولا ـ قد قهروا من قاوم نابليون العظيم ... أليس ابراهيم هو القائل عن نفسه ـ لأبيه ويفخر

١- كمثال للحالة الأولى ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٣ ، صورة الوثيقة العربية رقم ٣/٢٧، صورة مرسوم والى حلب إلى أهل حمص ، بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٤٧هـ الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢م . وكمثال للحالة الثانية ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م .

حقيقي ـ .. فأيما رجل أرسلوه (يقصد العثمانيين) فإنهم لايستطيعون إرسال رجل أشجع وأقوى من عبدكم إبراهيم ، والقائل عن رجاله ـ بفخر حقيقي أيضا ، أثبته ماسبق ، وأكده ما لحق ـ ... وإن ساقوا أي نوع من الجنود ، لايجدون مثل جنود العرب، الذين جندتموهم وأرسلتموهم إلى معيتي[1].... ولو تساوى الجند ماتساوت الامكانيات.

(هـ) إذا ما أضفنا إلى كل ماسبق تدهور الأحوال في عكا مع الوقت ، وتناقص أفراد الحامية ، وقلة المواد الغذائية ، وتفشي الأمراض بين الناس ، لأدركنا لماذا كان إبراهيم باشا مصراً على فتحها .. إنها الثقة المحسوبة .

مهما يكن من أمر ... فقد سقطت عكا ، وكان على إبراهيم باشا وقواته أن يرتبوا للخطوة التالية .

* * *

أضفى فتح عكا على المصريين السرور والابتهاج[2] بينما أصاب الدوائر الحكومية العثمانية باليأس والحزن الشديدين ، فلم يكن أحد هناك ينتظر فتح عكا[3] . على أن الفرح لم يستغرق القيادة المصرية طويلا ، فقد أرادت « الطرق على الحديد وهو

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢ م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

١ـ محافظ عابدين ، وثيقة بدون تاريخ ، عنوانها ، « وصف وصول عبدالله باشا إلى الاسكندرية ومقابلة محمد علي له .

٢ـ محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ ، بتاريخ محرم ١٢٤٨هـ الموافق يونيو ١٨٣٢م . ترجمة الكتاب الرومي العبارة (التركي) الوارد من الخواجة توسيجد باسطنبول .

ساخن»[1] فى حين لم يزايل الحزن اسطنبـول . أكثر من هذا ، فقد أفادت الأنباء أن العساكر العثمانية كانت تعانى أزمة شديدة فى المؤن والمهمات وبقية اللوازم ، وفى النقود بصفة خاصة ، اذ لم يصرف للجيش منذ تحركه من اسطنبول إلا مبلغ ثلاثة آلاف كيسة ، ويشعر خسرو باشا بخوف شديد ، فالوقت (الحالى) أنحس الأوقات بالنسبه له ، فإن له عدوا هائلا ، وبناء على هذا السبب لايغيب عن حضرة السلطان دقيقة واحدة[2].

لنترك العثمانيين يتسربلون فى أحزانهم ،ونتابع ابراهيم باشا المنتشى بنصره[3] وهو ينظم لوازم عكا ، ثم يلتحق مع جنوده بالجيش المعسكر فى زحلة وبعلبك وطرابلس . بعدها كان على إبراهيم باشا أن يختار بين خطتين ، الأولى أن يهاجم الجيش العثمانى فى حمص ، والثانيه أن يهاجم دمشق ، وقد رجحت الخطة الثانية لأسباب ثلاثة : الأول أنها عاصمة القطر، وسقوطها يؤدى إلى سقوط الجهات التابعه لها ، والثانى أن الزحف على حمص وحلب يقع فى أشهر الصيف (يونيو ، يوليو ، أغسطس) فتنهك فيها قوى الطرف الذى يتجشم السفر، والثالث ، أن الشاميين متلونون ، ولايأمن وقوع الفتنة فى مؤخرته إذا سار إلى حمص وحلب

١-مثل تركي ورد كثيرا فى المراسلات بين محمد علي وابنه إبراهيم ، انظر محافظ عابدين ، محفظه رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤ ، بتاريخ ٩ محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٨ يونيو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ ، بتاريخ محرم ١٢٤٨هـ الموافق يونيو ١٨٣٢م . ترجمة الكتاب الوارد من الخواجة ترسيجه.

٣- فى موقف مماثل ـ بعد معركة حمص التالية ـ عبر إبراهيم باشا بقوله : « وقد استولينا على حلب ـ وأقمنا بها كالإسكندر ، تحفنا مظاهر الأبهة والعظمة ، وأخذنا نسن سيوفنا ورماحنا ، وقد طأطأ العدو المنحوس رأسه أمام سيف محمد على البتار ، ورمح إبراهيم قائلا «آمنا وصدقنا» . أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى سامى بك (سكرتير محمد على) .

دون أن يفتح دمشق[١] . لهذا كله رأى ابراهيم باشا أن يزحف أولا إلى الشام (دمشق) حتى إذا فرغ من أمرها ، يصل الى بعلبك ـ حيث وديانها والبقاع معمورة ، فلايعاني الضيق في التموين ـ ومنها إلى حمص.

وهنا ، نشير إلى أن ابراهيم باشا لم يناقش هذه الخطة مع قواده ـ لأول مرة حسب علمنا ـ بل ناقشها مع الأمير بشير الشهابي ، وحجته في ذلك ـ إلى والده ـ « أنه لو ناقشهم لقالوا بلسان واحد » « سكرا سكرا » مثل الببغاء !. كما نشير إلى خطة ابراهيم باشا خلال شهور الصيف التي يقضيها في بعلبك ، لقد قرر أن يستخدم قواته غير النظامية للإغارة على القوات العثمانية المرابطة في حمص « فلا يذيقهم طعم الراحة »[٢] .

بناء على ماسبق ، قرر إبراهيم باشا القيام الى دمشق في يوم السبت الحادي عشر من المحرم ١٢٤٨هـ ، العاشر من يونيو ١٨٣٢م .

تأخر إبراهيم باشا ـ كعادته[٣] ـ عن الموعد المضروب ، فوصل ضواحي دمشق في الخامس عشر من المحرم ١٢٤٨هـ، الموافق ١٤ يونيو ١٨٣٢م ، برفقة الأمير بشير الشهابي ، على

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣٨ / ٥ ، بتاريخ ٢١ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢ ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤، بتاريخ ٩ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٨ يونيو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٣- في أحايين كثيرة كان إبراهيم باشا يعزي سبب تأخيره إلى تأخر الإمدادات التي تأتيه من مصر ، لدرجة خاطب معها والده بقوله : « ... ولست أدري هل الحديد بمصر موضوع في الثلج » وذلك مقابلة لطلب والده الذي تكرر « بالطرق على الحديد وهو ساخن » انظر على سبيل المثال : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥/١٨٠ ، بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٧ يونيو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

رأس . . . ١٨٠٠ من المقاتلين ، وبعد مصادمة غير عنيفة بالأتراك ولوا أمامه هاربين ، فدخل دمشق[١]، وقابله الأهالي بفرح واغتباط ، وجعل دمشق مقر الحكومة المصرية في الشام ، ورتب الإدارة فيها على نسق جديد ، وعين عليها حاكما ، وأقام لها حامية[٢].

وصلت بشرى فتح دمشق في الثاني والعشرين من المحرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢م ، « فشم منها محمد علي أريج الجنة .. فأهتزت لها القلوب والمشاعر ، وشمل رياها كل مكان[٣] »، ومع نشوة النصر يأمر محمد علي إبنه بمواصلة الزحف نحو حلب الشهباء [٤]، التي هي الحد الأقصى لآمال محمد علي ، بدون مبالاة بقسوة الصيف وحره ، كما نصحه باستخدام من معه من عناصر مختلفة ، لاستمالة مختلف البلدان[٥].

وفي رده على رسالة أبيه ، يكشف إبراهيم باشا الفرق بين معسكرين أحدهما يعتمد على التخطيط ، والآخر طابعه الإرتجال ، بما يكشف مقدما نتيجة الصراع . فقبل وصوله إلى مشارف دمشق بيومين ، تتم مناقشة تفاصيل خطة القضاء على جيش حمص ، والاستيلاء على حلب ، اذا تم الاستيلاء على دمشق!

١- أو الجنة العالية ، كما أطلق عليها إبراهيم باشا ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٢- عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص٣٢٢ .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣، بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٧ يونيو ١٨٣٢م، من محمد علي إلى إبراهيم باشا.

٤- عملا بالمثل السابق الإشارة إلى تكراره .

٥- نفس الوثيقة .

هل هى الثقة المحسوبة ، التى أشرنا إليها من قبل ؟ أم هو التخطيط الواجب لكل خطوة قبل البدء بخطوات ؟

لقد افترق قواد ابراهيم باشا فريقين ، فريق ذهب إلى مواصلةِ الزحف إلى حلب ، بدون توقف ، بعد الفراغ من أمر حمص ، وفريق قال بعدم التقدم نحو الأمام والانتظار حتى يأتى الجيش العثمانى بأقدامه . لكن ابراهيم باشا يقلب الأمر من جميع وجوهه ، مع الأمير بشير الشهابى[1] ، واتفقا على الخطة التالية[2]:

١- الذى أصبح له دور ملحوظ (الآن) بعد اشتراكه فى فتح عكا .أنظر .

Holt , P.M: Op. cit, p. 185 .

٢- تكرر أهمال إبراهيم باشا (مؤخرا) لرأى قواده ، ونعتقد أن هذا الأمر يعود إلى موقفين ، الأول : فشل هجوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ٩ مارس ١٨٣٢ م . ثم لما ذهب لمعاينة المنشآت العسكرية قبل فتح عكا بأسبوع ، ووجدها على غير مايشتهى ويلائم خطورة المعركة (القادمة) مما أشرنا إليه من قبل . فبعد الموقف الأول يخبر والده بأن القواد الذين يدركون الدقائق الحربية ويقدرون على التصرفات الواجبة وفقا لها قليلة العدد ... وأن الضباط الموجودين (هنا) أصبحوا أشباحاً لا أرواح لها .. وبعد الموقف الثانى ، يصف ابراهيم باشا قواده بانهم كالببغاء . عموما ستمحو الانتصارات الباهرة (التالية) كل هذه الآثار السلبية « ويصبح أى واحد من جنوده المنصورة، بل أقل واحد منهم لايتأخر عن تضحية نفسه فى سبيل شرف شعبه ، وتحقيق أمنية سيده ويصول على العدو ويقاتله كأسد الله الغالب (يقصد الإمام على) ، وكل فرد منهم يحمر كلون الورد ، وتفوح رائحته كشذى الورد » .

انظر : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢.

محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤.

محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٥.

«نقوم من هنا ومعنا من المعدات مايكفى لإيصالنا إلى حد حلب وبعد مانضرب حمص ، ننظر إلى الحالة ، فإذا هزمنا العدو ، واستطعنا تفكيك عري جيشة تفكيكا لايرجى معه لم شعثهم فيما بعد ، لانتركهم ونطاردهم إلى حد حلب، وأما إذا لم نستطع ذلك ، بحيث يقدرون على أن ينسحبوا انسحابا منظما . فلا نتقدم إلى الأمام ، فإنهم على التقدير الأول لايقدرون على الصمود فى حلب ، فندخلها بسهولة . وعلى التقدير الثانى فيصمدون فيها ، ويجب علينا حينئذ محاصرة حلب ، وفى هذه الحالةإذا فرض وجاء جيشهم الذى فى الوراء ، نستهدف لخطر الوقوع فى البين ، أعنى أننا لانستطيع ترك الحصار والهجوم على جيشهم ، ولانتخلى عن جيشهم لمواصلة الحصار . ولقد قر قرارنا على هذا الرأى ، فسنقيم مدة خمسة أو ستة أيام أخرى ، نعد خلالها الجمال وسائر المعدات اللازمة وبعد إتمام هذه الأمور نقصد الى وجهتنا »[١].

بل إن إبراهيم باشا لايركن إلى تفاؤل والده بألا يمكن سكان حلب مهزومى حمص من دخول مدينتهم ، ويربط الموقف بحالة الانسحاب، فإذا كان انسحابا منظما إلى الوراء ، فلايستطيع الحلبيون منعهم من الدخول، بل ويضيف : « .. بل يهرعون لاستقبالهم بالتعظيم والتوقير »[٢] . انها حالة « التلون » التى أشرنا اليها منذ قليل .

لنذهب إلى الجانب المقابل ، ونقابل بين الحسابات والفوضى. لقد كان المشير حسين باشا « سرعسكر الجيش العثمانى » يقيم مع قواته فى قونية ، لايبدى حراكا ، وكأنه لايتأهب لمعارك أو حروب ، تاركا الحبل على الغارب للجنود .. لاتدريب أو مناورة ولا استعداد ، ولانصائح

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣٨ / ٥ ، بتاريخ ٢١ محرم ١١٢٤٨ هـ، الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢ . من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٢- نفس الوثيقة.

للضباط أو توجيه، فعاثوا فسادا ، ونسوا جيادهم ، فلا عناية بأمرها ولاعلائف تقدم لها . وعبثا ما حاوله الضباط الأوربيون في هيئة أركان حرب القائد ، بل قل ضاعت جهودهم هباء منثورا[١].

لكن هؤلاء الضباط (الأوربيين) نجحوا في الضغط عليه لكي يتقدم إلى أدنه ، ثم انطاكية .. حيث أنفذ ـ من هناك ـ محمد باشا ، والى حلب ، على قيادة مقدمة الجيش ، وأمره بأن يحصن نفسه فى حمص ، والمسافة بينها وبين انطاكية لايستهان بها ، فلما علم إبراهيم باشا بالخطأ الذى اقترفه حسين باشا بفصل المقدمة عن الجيش ، عزم على الاتصال بمقدمة الجيش التركى وسحقها ، ثم مهاجمة باقى الجيش بعد ذلك [٢].

ودون تفصيل ـ هنا [٣] ـ لسير معركة حمص، فإننا ننقل جزءاً من رسالة أرسلها أحد شهودها . يقول الرجل أنه لم ير حقا حربا تمثلت فيها ضروب الشجاعة والبسالة والترتيب والنظام ـ من الجانب المصرى بالطبع ـ مثل تلك الحرب ، ومادام دولته (إبراهيم باشا) متحليا بهذه الشجاعة العظيمة ، والتدابير المحكمة ، فإن الهزيمة دائما ستكون من نصيب العدو، وبدون أقل شك ، فى كل معركة سيخوضها ضد دولته من بعد الآن ، فى أى جهة كانت [٤].

١- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق، ص٣٢٠ .

٢- نفس المرجع ، ص٣٢٢ .

٣- أنظر تفصيل المعركة فى الملاحق . .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإفادة رقم ٥٢ ، بتاريخ ٩ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٨ يوليو ١٨٣٢م ، من محو بك (معسكر إبراهيم باشا) إلى مجهول .

انتهت حرب الباشوات[1] بهزيمة عثمانية مدوية ، حيث « أبدنا منهم عددا كبيرا بفضل صرامة سيف محمد علي ، وحدة سونكي إبراهيم ، فغنمنا كافة الجبه خانة والمهمات والخيم والذخيرة ، والثمانية والعشرين مدفعا التي كانت معهم ، وبلغ عدد الجنود المأسورين من النظاميين أكثر من ثلاثة آلاف نسمة ..[2].

تشتت جيش السردار بعد معركة حمص[3] ، فولت فلول جيشه نحو حما ، لكنها لم تستطع كذلك الثبات هناك ، فانسحب جانب منها بدون انتظام الى عنتاب ، والجانب الآخر إنسحب ـ هو الآخر ـ بدون انتظام إلى انطاكية[4] ، وبهذه الهزيمة وهذا النصر إستطاع إبراهيم باشا إلحاق ممالك عربستان كلها الى الحكومة المصرية ، ولكن الأوامر جاءته من والده بالتوقف في حلب[5] .

١- ذكر إبراهيم باشا في إحدى رسائله أنه كان بحمص عند وصوله اليها ثمانية باشوات .

أنظر ، محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإفادة رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٢- نفس الوثيقة .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة العريضة رقم ١١١ ، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٤٨هـ الموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإفادة رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨هـ الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة العريضة رقم ١١١ ، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٤٨هـ الموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

إنها حسابات السياسية ، وقد لاحظنا أن محمد على كرر أكثر من مرة فى رسائلة أن حلب هي الحد الأعلى لآماله[١] لكن هذا الأمر بالتوقف لم يكن ليرضي ابراهيم باشا ، ومن ثم لم يتوقف ، بل أخبر والده بأنه تعقب السردار نفسه ، الذي ما إن بلغه نبأ وصول القوة المصرية « القاهرة » حتى ترك مالديه من المدافع[٢] والمهمات والذخائر الحربية و« فك قلسه »[٣] وفر من جبل إلى جبل ، ومن زاوية إلى زاوية أخرى وتشيده « أين المفر » [٤].

من ناحية أخرى ، فقد أرسل مفتى حلب رسالة إلى محمد على يعرض فيها أدعية كثيرة ، ثم يقول أن السرور قد شمله ، وشمل العالم بإلحاق حلب الشهباء بحكم دولته [٥].

بعدها ، تحمس السياسي ، وتهيأ الطرفان لمعركة بيلان[٦] التى لن نقف عندها طويلا هنا [٧]، فقد باتت موازين القوى ، وهانت القوة

١- أنظر على سبيل المثال : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ ، بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢م، من محمد على إلى إبراهيم باشا .

٢- كان عدد المدافع التى تركها ثمانية .

٣- فك القلس : تعبير يكنى به عن الفرار والهرب ، والقلس حبل ضخم تربط به السفينة ، أو تنزل به المرساة عند رسو السفن .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى سامى بك .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ١٥ بحريرا ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠ ، بدون تاريخ، من مفتى حلب إلى محمد على .

٦- تقع مدينة بيلان جنوبى الاسكندرونة ، وشمالى المضيق والجبل المعروفين باسمها .

٧- انظر التفاصيل فى الملاحق .

العثمانية[1] ولو كانت أكثر نفرا ، فلم تكن أعلى نفيرا .

عموما ، قد تفيد بعض الملاحظات العامة هنا عن التفاصيل[2]،وأول هذه الملاحظات هي تكرار أخطاء العثمانيين التكتيكية والتي أبرزها هذا الاصطفاف في خطوط طويلة دون عمق دفاعي ، ودون احتياطي يتم الدفع به في الأوقات الحرجة أو عند تطوير الهجوم ، وهو الأمر الذي أدى إلى تكرار حركة الالتفاف حول أجنحة هذه القوات ، وإخراجها من المعركة مبكرا ، وبالتالي حسم المعركة .

أما الملاحظة الثانية ، فهي استمرار الأتراك في المقاومة رغم هزيمة حمص وبعدها بيلان ، ورغم الانسحاب غير المنظم في الحالتين ، وهذا أمر متوقع ذلك أن القوى التي لها تاريخ لاتستسلم بسهولة ، لذلك لانستغرب ذلك الهدوء - المصطنع - من السردار حسين باشا ، حين قال مداعبا من حوله : « إن جوادي لاأستطيع إرغامه على شرب الماء ، فقد صمم على أن يرتوي من ماء النيل[3] ». الغريب أنه قال هذا بعد أن أغلقت حلب - التي كانت تابعة لسلطانه- أبوابها في وجهه.

أما الملاحظة الثالثة فهي أن أهل الشام قد تخلصوا من حيرتهم ، ولم يعد بهم حاجة إلى «التلون ». لقد بدأ أهل حلب هذا الاتجاه ، وتبعهم أهل معار ونعمان وتل سلطان وزيتان ، ثم

١- في غمرة نشوته بالنصر في معركة حمص ، وفي رسالة منه لوالده ، قال ابراهيم باشا عن الجنود الاتراك « ففر كل منهم الى جهة ، وهلك معظمهم في القري والجبال من الجوع والعطش ، وقد رخصت جنود الترك حتي نزلت قيمة كل ثمانية منهم الي فلس واحد ». انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشاإلي سامي بك .

٢- التي نرصدها في الملاحق.

٣- عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٣٢.

جاءت إبراهيم باشا وفود أورفه وديار بكر تعلن الولاء والخضوع ، وبعد بيلان انضمت إنطاكية واللاذقية والسويدية إلى دولة محمد على ، كما رفرف العلم المصرى على عينتاب ومرعش وقيصرية[1] .لقد دانت الشام (الآن) لمحمد على وابنه إبراهيم.

أما الملاحظة الرابعة فهى عودة إبراهيم باشا إلى مستشاريه .. أنه التوحد ، يصنعه الخطر الشديد ، أو النصر الأكيد .

أما الملاحظة الخامسة والأخيرة ، فهى توقف إبراهيم باشا مؤقتا عن الزحف شمالا وملاحقة القوات التركية الفارة على غير هدى . وهو مايفرض سؤالا : لماذا كانت معركة قونية (التالية) وقد توقف محمد على مرتين بعد كل من حمص وبيلان ؟

نعتقد أن هناك سببين ، أحدهما للتوقف والآخر للتحرك بعد التوقف أما سبب التوقف ، فهو غموض الموقف الأوربى بعامة ، والإنجليزى بخاصة. فانجلترا لم تكن بعد قد حسمت موقفها من تأييد أي من محمد على أو سلطانه . فالثانى فى حالة لاتمكنه من وقف خطر الدب الروسى المتحفز للمياه الدفيئة عبر مضايقه، والأول تهدد قدرته بمضايقتها مستقبلا ، وتضييق طريقها إلى الهند ، درة التاج البريطانى[2].

أما سبب الحركة - إلى قونية - فقوة تعبر عن نفسها - لابد - إنه إبراهيم باشا القائد العسكرى المظفر ، لايقيم كبير وزن لحسابات السياسة ، طالما كانت موازين القوى حواليه فى صالحه ، ألم يطلب من والده أن يخطب باسمه فى المساجد !

١- نفس المرجع ، ص ص٣٣١-٣٣٧ .

٢- Crawley , C.W : the Mediterranean , the new Cambridge modern history , vol . X, Cambridge 1968 , p. 428 .

على أن هناك أمراً آخر ، يتضح من وداع السلطان لجيشه ـ المتجه فيما بعد إلى قونية ـ وقائده رشيد باشا : « إنقذ الدولة ، فإن شكري لك ولعساكرك إذا أنت فعلت لايكون له حد »[1] انه الضعف .. دعوة مفتوحة للعدوان .

عموما ، بين تردد السياسي وطموح العسكري، ومد القوة و«جزر» الضعف ، تحرك إبراهيم باشا شمالا بأوامر محددة تعبرعنها الرسالة التالية[2] « يجب علينا حسب أوامرك أن تتقهقر إلى الوراء بعد الإستيلاء على قونية ، فالشائع أن الصدر الأعظم ، يزحف علينا بقوة كبيرة ، فإذا نحن تقهقرنا ، عزوا ذلك الى الجبن والخوف ، وعلى عجزنا عن مقابلته ، وفوق هذا كله فإن الصدر الأعظم يغنم الفرصة للزحف على قونية . وقد يتجاوزها للحاق بنا مذيعا خبر تقهقرنا ، ومن يدري مايكون من وراء ذلك ، فقد ينضم إليه الشعب . وقد تثور سوريا والأناضول علينا ، ويظل الغرض من تقهقرنا خفيا لايفهم وبناء على ماتقدم ، لاينبغي لنا أن ندع الفرصة تفوتنا ، فنحن نذهب إلى قونية ، ونشتت العدو ، وننتظر فيها وصول الصدر الأعظم لنقهره ، اذا أراد مهاجمتنا ».

ورغم إقرار محمد علي لرأى إبنه ، إلا أنه نبه عليه ألا يتجاوز قونية لأنه لايعرف بوجه قاطع رأى الدول . فلما أطاح ابراهيم باشا بالجيش العثماني في قونية [3] أقام شهرا يعيد تنظيم قواته ، ولم يستطع مواصلة تعقب فلول جيش رشيد باشا ـ أسير ابراهيم ـ قبل وصول أوامر والده إليه ، وقد كتب لأبيه خطابا في ديسمبر[4] يقول له فيه : « أستطيع أن أصل إلى

١- نفس المرجع ، ص٣٤١ .

٢- من إبراهيم باشا إلى محمد علي في ٩ جمادى ثان ١٢٤٨ هـ، الموافق ٣ نوفمبر ١٨٣٢م، منشورة في نفس المرجع ، ص ص٣٤٣-٣٤٤ .

٣- انتهت معركة قونية في ١ شعبان ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٤ ديسمبر م. انظر تفاصيلها في الملاحق ، ص ص١٩٦-١٩٧ .

٤- الموافق ٥ شعبان ١٢٤٨ هـ

الآستانة ... وأستطيع خلع السلطان حالا ، وبدون صعوبة ، ولكنى مضطر أن أعرف هل تسمح لى بتنفيذ هذه الخطة ، حتى أتذرع بإتخاذ الوسائل اللازمة لأن مسألتنالاتسوى إلا فى استانبول .. فهم لايقبلون عقد الصلح معنا إلا إذا دخلنا عليهم فى العاصمة[١].

وهكذا ، ولاختلال ميزان القوة الذى أشرنا إليه ، تحرك إبراهيم باشا بقواته من قونية إلى كوتاهية [٢]، ولكنه وهو على أبوابها تلقى خطاباً من أبيه بالتوقف عن الزحف حيث يدركه خطابه ، وهو يعلم أن ليس للسلطان جندى واحد فى طريقه إلى عاصمة الخلافة العثمانية .. إنها السياسة التى كان محمد على غارقا فى حساباتها طول الوقت ، والتى - ربما - لم يدرك إبراهيم باشا أبعادها بنفس القدر ، وكأنه - أى ابراهيم باشا - والقوات العثمانية كانا يتسابقان داخل قطار يسير بسرعة أكبر منهما فى الاتجاه المضاد ، أو فى نفس الاتجاه ، لايهم ،فسوف تقصر بهما السبل عن بلوغ المقدمة أو المؤخرة ، حتى لو بلغاها سيكتشفان عبث المحاولة .

مهما يكن من أمر فقد توصل الطرفان[٣] إلى صلح كوتاهية[٤] ، فوضع مؤقتا حد للنزاع بين الطرفين ، وبهذا الصلح ولى محمد على مصر والحجاز وكريت، وجعل إبراهيم باشا واليا

١- نفس المرجع ، ص ص٣٥٥-٣٥٦ .

وأنظر أيضا ،

Holt . T. P. M : Op. cit , p. 185 .

٢- فى ٢٩ شعبان هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٣٣م .

٣- فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٨هـ الموافق ١٤ مايو ١٨٣٣ م.

٤- كان الدافع الأول لعقد هذا الصلح هو خوف انجلترا وفرنسا من زيادة النفوذ الروسى فى أنحاء الامبراطورية العثمانية ، بعد أن هرعت القوات الروسية إلى الآستانة لحمايتها من السقوط على يد قوات محمد على . أنظر :

على سورية وعكا ودمشق وطرابلس وحلب ، ومحصلا لولاية أدنة ، ورفرف العلم المصرى على جل هذه الأقاليم . لكن إلى حين فقد كانت الليالى « حبلى » بصراع جديد ، هو حروب الشام الثانية .

عموما ، وقبل أن نطوى هذه الصفحة المتقدمة من حروب الشام ، ونعرض لوثائقها ، يجدر أن نسجل ملاحظتين :

(١) الخلاف البين بين طموحات العسكرى وحسابات السياسى ، ومع هذا فإن العلاقة بين إبراهيم باشا وأبيه ظلت مثالية طول الوقت ، ولم يفسد إختلافهما للرحم صلة ، فظل إبراهيم باشا بالنسبة لوالده « عبدا لاتقبل عبوديته العتق » ، وظل محمد على بالنسبة لولده « المولى صاحب الرحمة ولى النعم بدون من » .

(٢) قابلت محمد على وابراهيم باشا مشكلة حكم بلاد الشام حال توجه الأخير الى داخلية الأناضول ، فلما طلب من والده إرسال مندوب عنه ، سوف فى الأمر ، محتجا « بقحط الرجال» تارة ، والمحذور الذى فيها تارة أخرى. لكن السبب الحقيقى - فى رأى ابراهيم باشا - هو خوف محمد على من تدخل إبراهيم باشا فى عمل هذا المندوب .. ومن ثم فقد نفى عن نفسه هذا الخاطر مدللا« بخلو مذاقه بتاتا من جميع لذات الدهر»[1] ، ومؤكدا - بطريقة عملية -

---

- Dodwell, H : Op. cit, p. 121 .

- Little, T: Op. cit, p. 33 .

- Holt, P.M: Op. cit, p. 186 .

- Crawley. C. W: Op. cit, pp. : 428-429 .

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٤ ، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٢ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

بأنه عرض الأمر على الأمير بشير الشهابي للقيام بالمهمة ، فلما رفض انتدب لها الخواجة حنا[١] المقيم في عكا ، ريثما يصل مندوب محمد على كيلا تتعطل المصالح[٢].

أما عن وثائق حروب الشام الأولى ، فقد اعتمدنا على النصوص الكاملة للمراسلات والتقارير التي تمت بين ابراهيم باشا ووالده ، أو بين القادة العثمانيين والآستانة ، وبعد دراستها وتحليلها قمنا بنشرها كاملة في الهوامش .

أما اللغة التي كتبت بها الوثائق فهي التركية[٣]. أما عن قصة ترجمتها تحت إشراف الحكومة المصرية إلى اللغة العربية ، فالمعروف أنه قد حدثت صحوة فكرية وعملية في عهد الملك فؤاد ، كانت في صالح التاريخ والمؤرخين ،إذ وجه الملك فؤاد جل عنايته إلى الدراسات التاريخية الخاصة بمصر ، وذلك لإحياء ذكرى والده إسماعيل وجديه إبراهيم ومحمد على ، ومن هنا عنى بالمؤلفات التاريخية حول هذه الفترة ، وشجع رجالها ، ودعا الأجانب من المؤرخين للإطلاع على كنوز المحفوظات المصرية ، والكتابة في تاريخ أسرته .

ولتسهيل مهمة هؤلاء المؤرخين ، أمر الملك فؤاد بجمع مافي القصر الملكي ودار المحفوظات بالقلعة ، ودور الحكومة من وثائق ، وإحالة التركية منها ـ وبخاصة المتعلقة بحروب الشام في عصر محمد على ـ إلى قلم الترجمة إلى العربية [٤].

١- هو حنا بحري ، أو يوحنا بحري ، مسيحي من حمص ، حضر إلى مصر بصحبة يوسف باشا كنج عندما التجأ اليها ، وقد أعجب به محمد على لقدرته ومرونته ، فقربه إليه واعتمد عليه .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٥٦ ، بتاريخ ٢٩ ربيع أول ١٢٤٨هـ الموافق ٢٦ أغسطس ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣- فيما عدا ما كان يوجه إلى الأهالي مباشرة ـ مثل الفتاوى ـ فقد كتب بالعربية .

٤- عبد المنعم الجميعي : المرجع السابق ، ص ص ٥ ـ ٦ .

وقد سجل الدكتور عبدالمنعم الجميعى فى دراسته التى أشرنا إليها سابقا ، بعض الملاحظات على الوثائق المتعلقة بهذه الفترة التاريخية التى نحن بصددها ، على النحو التالى:-

(أ) نعت المترجمين لمحمد عَلى بلقب خديو ، والحقيقة أن محمد على لم يحمل هذا اللقب، بل كان أول من حمله من أسرة محمد على هو اسماعيل باشا ، ولذلك كان يمكن لهؤلاء المترجمين إطلاق كلمة الوالى أو الباشا أو البكلربك[1] أو العزيز على محمد على ، فتكون أقرب إلى الصواب تاريخيا من كلمة خديو.

(ب) يلاحظ إتخاذ ابراهيم باشا فى توقيعاته على رسائله إلى والده تعبير « سلام على إبراهيم » فى محاولة منه للتبرك والتشرف بإحدى آيات القرآن الكريم[2] .

(جـ) يلاحظ فى أسلوب الوثائق بعض الركاكة[3]

إنتهت ملاحظات الدكتور / عبدالمنعم الجميعى ، ونضيف نحن هنا ـ على نفس الوثائق ـ بعض الملاحظات .

١ـ إتصالا بالنقطة السابقة مباشرة ـ ركاكة أسلوب بعض الوثائق ـ فإننا نعزى الأمر إلى طرفيه : الكاتب والمترجم ، ومدى قوة التعبير لدى الأول ، والتمكن من اللغة العربية لدى الثانى ، ومن ثم فقد تفاوتت الوثائق بين القوة والضعف تعبيرا ولغة .

٢ـ اتصالا بما سبق أيضا ، لم يكن ابراهيم باشا وحده هو الذى يستخدم فى خاتمة مايبعث على التبرك والتشرف ، فقد وجدنا حالات مماثلة ، مثل « رب وفق أمور محمد » .

١- أى الحاكم .

٢- الآية ١٠٩ من سورة الصافات .

٣- نفس المرجع ، ص ص٦-٧ .

٣. لاحظنا خلو العديد من الوثائق من اسم المرسل أو المرسل إليه ، وكذلك خلو بعضها من التاريخ . وبالنسبة للحالة الأولى فقد حاولنا تحديدها من خلال مضمون الرسالة ، وبالنسبة للحالة الثانية فقد حددنا معظمها بطريقة تقريبية إعتمادا على انتظام البريد بين مصر وعكا ، بحيث كان الأمر يستغرق حوالى الأسبوع بين كتابة الرسالة والرد عليها . أما الحالات القليلة التى لم نستطع تطبيق نفس القياس عليها ، فقد اعتمدنا على مضمون الرسالة ، وربطه بالأحداث الجارية لتحديد التاريخ بصورة تقريبية بالطبع.

٤. لاحظنا فى كثير من الوثائق اقتباسا من القرآن الكريم ، أو استدلالا بأمثال عربية مشهورة أو أمثال مشتركة بين العربية والتركية .

٥. لاحظنا أن أسلوب التفخيم ظل متواترا فى الرسائل المتبادلة بين محمد على وإبنه ابراهيم ، إلا أن هذا التفخيم ظل معقولا إذا ماقورن بعبارات التفخيم والتحقير (تحقير نفس الوالى فى مقابل تعظيم نفس السلطان العثمانى) التى وردت فى الرسائل المتبادلة بين محمد على والسلطان العثمانى .

٦. لاحظنا اختلافا بين المترجمين ، فبعضهم ينهى الوثيقة بتسجيل اسمه والبعض الآخر يهمل ذلك ، وبعضهم يشرح ماغمض من ألفاظ أو مصطلحات ، والبعض الآخر لايلتفت إلى ذلك .

٧. لاحظنا تطاولاً من إبراهيم باشا على الدولة العثمانية فى مراسلاته إلى والده ، بينما التزم محمد على جانب الحيطة والحذر ، بما بين الفرق بين العسكرى والسياسى .

٨. استخدمت كل الوثائق التاريخ الهجرى فقط ، مما استلزم القيام بعملية المقابلة بين التاريخين الهجرى والميلادى .

٩. لاحظنا فى أكثر من حالة - ركزنا عليها فى حينها - أسلوب تهكم وسخرية من جانب إبراهيم باشا فى رسائله ، وهو أسلوب لم يقصد به الإساءة أو التجاوز ، بقدر ماقصد به التدليل والإقناع .

١٠ـ لاحظنا تركيز ابراهيم باشا على مسألة الجنس العربى ـ فى مقابل الجنس التركى ـ والأمن القومى العربى ، وهى مسألة خلت منها مراسلات محمد على .

١١ـ لاحظنا احتواء بعض الوثائق على تفسيرين لحدث واحد ، كانت الحقيقة تظهر عادة فى الرسالة التالية [١].

١٢ـ كانت بعض التقارير تسبقها ملخصات لضيق الوقت ، ثم يأتى التفصيل بعد ذلك .

١٣ يلاحظ ـ أخيرا ـ أن الوثائق تناولت عاصمة الدولة العثمانية بأشكال مختلفة ، مثل

١- مثال ذلك ماحدث من تبرير إبراهيم باشا لفشل قواته فى اقتحام قلعة عكا فى السادس من شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ٩ مارس ١٨٣٢م . ففى رسالة بتاريخ ١١ شوال فسر إبراهيم باشا عدم احتلال القلعة بسبب أن الجنود اضطروا إلى التراجع لأنهم « لما شاهدوا الضباط الذين كانوا فى المقدمة اضطروا إلى العودة بسبب اصابتهم بجراح ، ولأنهم كانوا فى حالة يتعذر معها الحركة بسبب شدة الزحام »، إلا أنه يعود فى ٢٣ شوال ويفسر الأمر بأن المدافعين أخذوا يضربون جنودنا ضربا حملهم على الرجوع وأن القواد « لم يستطيعوا قيادة الجنود الى اليمين واليسار وإدارة القتال حسب اللزوم ، ولا قاموا بتنفيذ الخطط والأوامر الصادرة اليهم غير مرة ، فتسببوا بذلك لضياع الانتصار ... وفى الواقع لا اعتراض مطلقا على غيرة الجنود ولكن القواد الذين يدركون الدقائق الحربية ويقدرون علي التصرفات الواجبة وفقا لها قليلة العدد ، وأنى بحق حياتكم العزيزة المباركة أرجو أن لاتفشي هذه الحقيقة لأحد من أتباعكم فإن الضباط الموجودين هنا أصبحوا أشباحا لا أرواح لها خشية أن تدرج اخطاؤهم فى التقرير» .

انظر . محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٠ ، بتاريخ ١١ شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ١٤ مارس ١٨٣٢م . من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد علي .

وانظر أيضا ، محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢ ، بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٦ مارس ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

اسطنبول واستنبول واستانبول[١] والآستانة[٢] ومن المعروف أن الأسماء الأولى أطلقت على العاصمة حتى أطلق عليها الآستانة فى القرن التاسع عشر[٣] .

وفيما يلى عرض لوثائق حروب الشام الأولى ، وهى مقسمة إلى أربعة أقسام :

١ـ وثائق خاصة بطلب محمد على لولاية الشام تسهيلا لمهمته فى الحجاز[٤].

٢ـ وثائق تتصل بحصار عكا ، ولها علاقة بحروب الشام شمالا [٥].

٣ـ وثائق خاصة بحروب الشام .

٤ـ وثائق خاصة بإدارة بلاد الشام .

١- وتعنى دار الإسلام .

٢- وتعنى العتبة .

٣- عبدالعزيز الشناوى : الدولة العثمانية ، دولة أسلامية مفترى عليها ٤ أجزاء ، ص ١٤.

٤- وهى منشورة فى : عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٤ـ ٤٣٥ .

٥- وهى منشورة فى : عبدالمنعم الجميعى : المرجع السابق ، صفحات مختلفة .

الملاحــق

الملحق الأول

وثائق خاصة بطلب محمد على
لولاية الشام تسهيلا لمهمته فى الحجاز

وثيقة رقم (١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ٤٧.

رقمها فى وحدة الحفظ : (٤٣).

تاريخها : ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م.

موضوعها : طلب ايالة الشام ليوسف كنج، وابعاد سليمان باشا عن هذه الإيالة. لقيامه بأمور ربما تؤدى إلى تعطيل محمد على عن القيام بمهمته فى الحجاز.

صورة القائمة المحررة، لرجاء توجيه ايالة الشام، لعهدة يوسف باشا كنج (الشاب) مع اطلاقه والافراج عنه.

إن حضرة سليمان باشا، والى ايالة صيدا، من المماليك، يحب جنس المماليك بالطبع، لاسيما مماليك مصر، ويهوى أن يساعدهم قدر استطاعته، حتى أنه سوى ما كان يجرى عليه من المكاتبة الدائمة بينه وبين محمد بك الألفى المتوفى من قبل، مدة حياته، وخلا تسببيه لايراث مضرات كثيرة بنا، بتحريره الشكاوى فى حق هذا الخادم المطيع إلى الدولة العلية، وإلى حضرات أولياء الأمور من غير أصل ولا موجب، كان هو السبب لفرار طائفة المماليك الذين كانوا استجلبوا إلى مصر واسكنوا فى العام السابق بالاستئمان والصلح، على أن يستخدموا فى خدمة هذا العاجز، كان هو الداعى لعصياتهم بتعليمه الفتنة والفساد لهؤلاء المنطوين عليهما، بارسال خطابات التهييج، والاستثارة إليهم تفكيرا فاسدا منه، فى صرفى وتعطيلى عن مأموريتى بالحرمين، حتى صار ذلك باعثا لوقوعى فى مصروفات كثيرة، وإن كنت تمكنت من إزالة غائلة المماليك بالسيف، ولله الحمد بالنظر إلى ما أملكه من القوة والقدرة تحت ظلال

رعاية حضرة السلطان، وأعطيت المناصب المصرية التى كانت أعطيت لهم، لعبيدكم أصحاب الخدمات القديمة بمعيتى، حتى أصبح هذا التحريك من الوزير المشار إليه، والاستشارة منه محض خير، ومن قبيل اللطف فى حق هذا العاجز على فحوى «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»، لكن عند ارسال ولدى طوسون أحمد باشا مع عساكره المشاة المرتبة بحرا لطرف الحرمين وعند سفرى قريبا من جهة البر بعده، يرجع الوزير المشار إليه إلى عادته القديمة، ويتصدى للفتنة، من حيث يقعد ولا يبقى هادئا، بل يتوغل فى وجوه الاهانة بمخلصكم، بالنظر إلى أنه لا يتمكن من الذهاب إلى جانب الحجاز البتة، وإن كان مرتبا لها، لعدم وجود عسكر ولا قوة عنده، وأمضى فى رؤية مصلحتى غير متزلزل أدنى تزلزل من فتنة المشار إليه، بناء على أن معتقد هذا العاجز مضمون «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها».. لكن مقتضى المصلحة أن لا يترك خلف من ينتدب ويؤمر بالقيام بأعباء أمور جسيمة لم يكن ولم يتيسر لأحد القيام بحقها، منذ خمس سنين وعشر سنين وعشرين سنة، ولا فى جواره ما يكون شاغلا لأفكاره بوجه، لا ما يدعوا إلى الملاحظة وانشغال الخاطر، فإذا دفع وازيل الوزير المشار إليه من جوارى، ووجهت ولاية الشام لعهدة يوسف باشا كنج، مع التفضل بعفو ذنبه، وابقاء وزارته، يصبح هذا المخلص مطمئن القلب، ويحصل انجاز مصلحة الحجاز بسرعة، وقد اجترىء على هذه الافادة، بناء على أن من مقتضى طبيعة المصلحة، تسهيل مأموريتى بدفع الأمور التى تحدث غوائل لمخلصكم فى مصلحة الحجاز الجسيمة فقط، من غير أن تحمل افادتى على الغرض النفسانى، فى حق سليمان باشا، وعلى التحيز فى حق يوسف باشا، لأنى ما كتبت ولا أفدت سوى المواد الواقعية، فى حق المشار إليهما خيرا كانت أو شرا من تاريخ وزارتنا لحد الآن، وقد ابتدرت إليها الشفاعة فى حق يوسف باشا كنج حسبة الله، بالنظر إلى أنه عبد لا ذنب له، وإنما لقى الغضب السلطانى بحسب افتراء وبهتان عليه. وحيث التجأ هذا البرىء إلى مخلصكم، وهو يعدنى مسموع الكلمة، معتبرا لدى الدولة العلية، أرجو أن تقترن شفاعة هذا

العاجز فى حق المشار إليه الذى لا ذنب له بالقبول لدى حضرة الملوكية، اعتمادا على أن ولى نعمتنا وولى نعم العالم صاحب الشوكة مولاى رحيم الشيم، حكيم الخصلة بخلاف السلاطين السابقة، وقد قال تعالى: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» فأخص رجاء هذا الأحقر دفع سليمان باشا الذى أجزم يقينا، بسعيه فى المفاسد المستلزمة للغوائل والشواغل القلبية فى مأموريتى هذه، مأمورية الحرمين، وابعاده من جوارى، مع اسعاد يوسف باشا كنج بالعفو والإطلاق وتوجيه ولاية الشام لعهدته، عند احاطة علمكم العالى بأنى لست متحيزا لهذا، ولا أنى فى صدد إجراء غرض نفسانى لسليمان باشا من غير سبب موجب.

فى ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م.

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٢)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ٨١.

رقمها في وحدة الحفظ : (٤٨).

تاريخها : ٥ شوال ١٢٢٥ هـ /٣ نوفمبر ١٨١٠ م.

موضوعها : خاص بجلب سفن الضاو، وعزل سليمان باشا.

تحرير متعلق بإرسال مقدار سبعة آلاف جندي من العساكر المشاة مع ست سفن من السويس لحد اليمن، لجلب سفن الضاو، وبشأن عزل سليمان باشا.

تم من جملة ما أنا ساع في إتمام إنشائه من سفن بمرفأ السويس لأجل مصلحة الحجاز، إنشاء ست سفن حربية، منها ثلاثة سفن كبيرة وثلاثة سفن أخرى من صنف الفرقاطة، ووضعت في تلك السفن الست الأشرعة والقلوس والمدافع وسائر الأدوات - فتجهزت وأنزلت في بحر السويس، ولم يبق من نواقصها سوى أدوات الصواري والأعمده، وأوحى كتخدائنا بالباب العالي عبدكم صاحب العزة نجيب أفندي، بأن يرسل تلك النواقص، وقد عزم على تسيير تلك السفن المستحضرة في البحر، باركاب عساكر لهم خيرة بالأمور البحرية، وارسالها أولا، لحد اليمن، آن ورود تلك اللوازم، لأخذ ما يصادفونه في وجه البحر وسواحل جدة وينبع واليمن، من السفن والمراكب المعبر عنها بالضاو، وجلبه إلى مرفأ السويس، فإلى أن تصل إلى المحال المذكورة تلك السفن الست المستحضرة في البحر، التي سترسل إليها عقب ورود ما سلف ذكره من لوازم الصواري التي يرسلها الأفندي المومى إليه، وإلى أن تعود تلك السفن إلى المرفأ المذكور مستصحبة لمراكب الضاو التي تصادفها في تلك الجهات، يتم انشاء بقية سفني، فتكون جاهزة في المرفأ المذكور من غير نقصان، وعند انتهاء مسألة السفن في زمن قريب بمنه

تعالى بهذه الصورة، توضع فيها الذخائر والغلال الوافية وسائر مهماتنا اللازمة المخزونة المعدة في المرافق، وتشحن تلك السفن في الحال، ويركب عليها ولدى عبدكم طوسون أحمد باشا مع عساكرى المشاة، المرتب إرسالهم بحرا، البالغ عددهم سبعة آلاف جندى تامى العدد، وبعد هذا الإرسال لا محالة، يتوجه هذا الشاكر لنعمتكم المثنى عليكم إلى جهة مأموريتى من الفرسان الكلية المتوافرة المرتبين برا، فربنا سبحانه أكرم بالتوفيق والسلامة آمين. ومن الجلى الظاهر أن من أساس نظام المصلحةَ، حصر عقلى وفكرى، في تدبير الأشغال الكثيرة الماثلة أمامى، بأن لا نبنى ولا نترك غائلة توجب وسوسة في الصدر، واخلالا في الفكر، بالنظر إلى كونى مأمورا بالاستقلال، ومتعهدا بهذه المصلحة الخيرية الجسيمة، مع أن حضرة سليمان باشا المتفضل عليه بايالة الشام كما هو مبتغاه، مستاء غاية الاستياء بناء على حقوق مكاتبته ومصادقته المعلومتين مع أشقياء المماليك . من اعمالنا السيوف إلى هذه الدرجة في الأشقياء المذكورين، حتى لو أمكن أن يحول دون تمكينى من ابقاء هذه المأمورية الحجازية، بفداء جميع ما يملكه في هذه السبيل، لعد ذلك منة كبرى على نفسه بكل فخر، ولبذل وأعطى جميع ما يملكه في آن واحد، بغية أخذ الانتقام من طرفنا، ولاسيما أن عدة مئات من الأشقياء بقية السيوف مقيمون الآن بولاية السودان، فارين من مصر، وهم على اختلاف فيما بينهم في محل استقرارهم، حيث « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت»، ففريق منهم يريد الاندفاع والإرتماء نحو تونس، والسفر إلى ولاية فرانسة بالركوب من هناك في السفن، وفريق آخر منهم يختار الانسلال إلى ولاية الوهابية بالدور واللف من إقليم الحبشة، وفرقة منهم ينتخبون القصد توا إلى جهة الوزير المشار إليه بالانسلال من داخل الجبل، على اتجاه القدس، بتدارك كل منهم هجينا باعطاء كافة موجوداتهم ومنقولاتهم، فعدل الفريقان الأولان عن رأيهما، رأى الذهاب إلى فرانسة، ورأى الانتقال إلى بلاد الوهابية، واستحسنوا جميعا الرأى الأخير، واستصوبوه، واستقر قرارهم على الذهاب إلى الوزير المشار إليه، فإذا تحققت وتأكدت من مضيهم على هذا

الاتفاق، لا محال أسلط على جهة العريش وغزة، وأرسل إلى تلك الجهات مقدارا من سائر العربان، ليقطعوا السبيل عليهم، فحينما يبلغ هذا التصميم من هذا العاجز إلى سمع الوزير المشار إليه، لا شك أن يبادر إلى تحرير الشكاوى وتسييرها إلى الدولة العلية في حق هذا الخادم المطيع فظاهر أنه على كل حال لا يبقى مشتغلا بخاصة أمر نفسه، بعد سفرى من مصر، بل يتصدى لمفاسد تدعو لحدوث اضطراب باطنى لهذا الخادم المطيع، ايقاعا فى الغلط فى تدابيرى، (فيكون بقاء الوزير المشار إليه هناك سببا مستقلا ليطء جريان المصلحة الخيرية ولتأخير إنجازها). ومن أجل ذلك سبق تحرير عريضة من عبدكم، وتقديمها إلى الباب العالى، مع عبدكم الأفندى المومى إليه، كتخدائنا بالباب العالى، على رجاء التفضل بالمساعدة لابقاء مأموريتى بدفع الوزير المشار إليه من ايالة الشام، وعندما أحاط علم ولى النعم الذى هو زينة العالم، بصورة اهانة المشار إليه ومضرته فى أمر مأموريتى من عريضتنا، ومن تقرير الأفندى المومى إليه، وافادته، أرجو بدفع المشار إليه من الايالة المذكورة، بحمل افادتنا على مقتضى المصلحة، دون اجراء غرض نفسانى له، وفى شأن التفضل باجراء المساعدة والمعاونة الكلية، لرؤية هذه المصلحة الخيرية بهذا الوجه.

فى ٥ شوال ١٢٢٥ هـ/ ٣ نوفمبر ١٨١٠ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٣)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ٤.

رقمها فى وحدة الحفظ : (٥٦).

تاريخها : ٥ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١١ م.

موضوعها : طلب إبعاد سليمان باشا من ايالة الشام.

صورة ما حرر إلى نجيب أفندى فقط لدفع سليمان باشا من إيالة الشام.

إن حضرة سليمان باشا هذا، ليس على حسن التآزر معنا، بل حرر إلى الباب العالى عدة مرات مضيه واستمراره على اجراء مفاسد ضدنا بما يوقع مصالحنا فى اضطراب وارتباك، لكن المفهوم أنه ما أجيب لحد الآن إلى طلبنا وانهائنا حملا لتحريراتنا، إلى إجراء الأغراض النفسانية ضده، فيا أخى حضرة المشار إليه، ليس بأكبر منى من أية جهة من جهات الشأن والمنصب والاعتبار والرفعة والبطولة، حتى أحسده وانهج معه منهج إجراء الأغراض النفسانية ضده، وما حظيت به بحمد الله تعالى تحت رعاية حضرة السلطان من المساعدات الجلية، والتوجيهات السنية، لم يرد مثله، ولا ناله أى وزير من الوزراء، منذ نشأة الدولة العثمانية، إلى يومنا هذا، أعرف قدر هذه النعم التى لا تحصى، وأديم الشكر عليها، فبأى تملل أم بأية وسيلة أكون فى خيال إجراء الأغراض النفسانية ضده، فوالله العظيم، وبالله الكريم، ليس فى عقلى، ولا فكرى أصلا، ذرة ما، من خيال اجراء الأغراض ضده، وإنما اجترىء على التحرير إلى الباب العالى مرات، لمجرد إفادة ما يوجبه التبصر والرؤية فى خدمة ديننا ودولتنا، وتبيين المواد التى تمنع من إنجاز هذه الخدمة، لأنى جد مقتنع بأن المشار إليه، حيث يعلم أنه لا يقدر على الذهاب إلى الحرمين، مع كونه مأمورا أيضا بذلك، ويجزم يقينا أنى تهيأت من كل

الوجوه، وتتم هذه المصلحة الخيرية على يدى وحدى مثله، ويسعى فى مفاسد تجعلني - لا قدر الله - خجلا عند الدولة العلية ساقط الاعتبار. وقد بعث المشار إليه خبرا إلى بقايا المماليك من الأشقياء القليلة الذين طردوا وأجلوا إلى بلاد السودان، حيث يغار لهم غاية الغيرة، فى وقت اشرافهم على الهلاك تدريجيا من الجوع والعطش، قائلا لهم لا تأسفوا فأنا سأريحكم قريبا إن شاء الله تعالى، فايصال المشار إليه مثل هذا الخبر إلى مثل هؤلاء العصابات المكسرة الأجنحة والمقطعة الأصول والفروع، أمر يفيد الامداد لهم بوجوه، والمضرة الملحوظة من تدبيره هذا، وإن كانت راجعة إلى طرفنا صورة ولفظا، فهى عائدة إلى الدين العالى والدولة السنية حقيقة ومعنى، فإن كان المطلوب انجاز المصلحة الحجازية على الوجه التام كما ينبغى، فلتبذل الهمة لذهابى بصرف العناية إلى دفع المشار إليه من ايالة الشام، وأما إن كان لا يلزم سفرى، ولا أدرى هل يتم الأمر أم لا بالعساكر المرتبين الذين أرسلهم بحرا، فيجب أن لا يعزى تقصير إلى طرفنا على تقدير عدم انجاز المصلحة المذكورة، لأن من ضروب الأمثال المعلومة ما يقولون، ألف عامل ورئيس واحد، وعند العلم يتوقف ذهابى على دفع المشار إليه من ايالة الشام، كما أفدت مرات حسبة لله، تفهم مقتضى الحال لحضرات أولياء الأمور، إن كان المراد انجاز المصلحة الخيرية انجازا تاما، تحرر ما تقتضيه الإرادة السنية بسرعة إلى طرفنا باقدام تام، وحيث إن هذا هو مطلوبنا المستعجل، قد حررت هذه القائمة المنبئة عن المودة، لافادة هذه المصلحة، وللاستعجال فى مادة الصوارى، المحولة لعهدتكم، ولاخطار مسألة المدافع المحولة تسويتها - لعهدة حضرة الأغا، وكيل الخزينة الهمايونية، وعند وصولها عنه تعالى تسعى فى مقتضى ذلك، وتبذل الهمة فى عدم مصادفة وقت حركتنا لزمن اشتداد حر الصيف، بتتميم مصالحنا المذكورة فى أسرع وقت ممكن.

فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ/ ١ يناير ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٤)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ١١٩.

رقمها في وحدة الحفظ : (٦٤).

تاريخها : غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م.

موضوعها : إظهار أهمية الشام لانجاز مصلحة الحجاز.

حرر إلى نجيب أفندى، حينما ورد اطلاق يوسف باشا كنج: بأمله بتعيينه لمنصب، لكن يا أخى لم يكن ما حررته ورجوته كرارا.

قد ورد اطلاق يوسف باشا كنج، ولم تبق لى أيضا شبهة أنه ينال ومرارا على هذه الصورة، لكن كان مرادى أن هذا الرجل، حيث قام وقعد وعاشر مع الوزراء العظام، من مدة مديدة فى طريق الحجاز، يعرف جيدا أمور تلك النواحى ومصالحها، فعلى تقدير اعطاء الشام له خلا وجود أنواع الخيم ذات عمود واحد وغيرها والحيوانات وسائر المهمات عنده من ملكه، كنت أعطيه عدة آلاف فارس مع معيناتهم، فيزحف من طرف الشام، وتقع حركتى أيضا من مصر بقوى كلية لتسعى فى انجاز المصلحة الجسيمة بسهولة، حتى نخدم لسلطاننا ولديننا، ونقوم بخدمة عظيمة، فلو كان يوسف باشا كنج هذا عين للشام على وفق طلبنا، لكانت المصلحة تخرج إلى حيز الوجود بكل سهولة، حيث يشهد الله أن سليمان باشا لا يقوم (بخدمة المصلحة الحجازية). وأما المصلحة الحجازية فخلا أنه قد صرف فى سبيلها لحد الآن مقدار أربعة آلاف كيسة نقدية من غير المشاة من طرف ولايتى، وسائر المحلات بناء على أنه يرسل أكثر العساكر الموجودة عندى إلى جهة الحجاز، حسب كمال تخوفى واحتياطى وتحرزى من مهاجمة دول النصارى، وتسلطهم، وإن كان يكفى ما أبقيه من العساكر بمصر ومرافئها كافيا ووافيا لمحافظة

أمور المملكة، حيث بعثت أوراقا متعددة إلى مرافىء الروم (أناضول)، وأرسلت مندوبا وورقا آخر أيضا إلى روملى، لاستجلاب هذا المقدار من الجنود، وبالنظر إلى مصلحة هؤلاء الأربعة آلاف من الجنود، إنما هو ترتيب يعود إلى مصلحة الحجاز، وفى سبيلها، يعلم عند الملاحظة بأى مقدار من التعيينات أو المصروفات يمون مثل هذا المقدار العظيم من العساكر فى السنة، فلو علموا أنه لا شك كل هذا السعى، وهذا الاجتهاد وهذا التناثر وهذا الانتشار كلها، إنما هى لأجل الخدمة الحجازية، وأن سليمان لا يقوم بخدمة الحجاز فعزلوه فى حينه، وأعطوه ليوسف باشا هذا أرسله بتة من طرفى الشام بتجهيزه وتدارك لوازمه وكان على ذلك، وعلى رقبتى وفق تحريرى، وأقوم أنا من هذا الطرف بتنظيم مقتضيات التدبير اللازم من وراء ولدى الباشا المومى إليه، على ما هو اللازم والحاصل أن هذه الصورة تكون صورة حسنة، لانجاز المصلحة بسرعة فلا يحملن أشعارنا هذا، على نكوصنا، وحينما يستمر ولدى المومى إليه فى طريق ذهابه، حيث يقام من بركة الحج قريبا ذاهبا إلى الجانب المقصود بطريق السويس، فأنتم يلزم عليكم أن تتخذوا قرارا وجيها لهذه الصورة حالا، بالاستشارة مع بعض الناصحين لنا، ومريدى الخير بنا وأن تسعو جهدكم فى تنظيم ذلك.

فى غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ/ ٢٦ مارس ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٥)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ٢٣٢.

رقمها فى وحدة الحفظ : (١١٨).

تاريخها : ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٣ م.

موضوعها : طلب ايالة الشام، لتسهيل الحجاز مصلحة الحجاز.

صورة القائمة المحررة إلى الباب العالى، جوابا عن المرسوم العالى (الفرمان)، الذى أتى به الأفندى كتخدا الباب.

وقد اقترن بفهم ذهن هذا المخلص المستديم، مضمون مراحم الخط الهمايونى المبارك، المقرون بالعناية السلطانية، المتفضل بارساله بواسطة عبدكم النجيب، كتخدانا بالباب (العالى) لدى وصوله إلى مصر مع العطية البهية، القيمة المملوكية، فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان الشريف الجارى، عند الفتح والقراءة، بعد الاستقبال مشيا عى الوجه والمقابلة بالتقبيل والتلثيم بكمال الآداب والتعظيم، وظاهر أنى عاجز وقاصر عن أداء شكر العنايات السلطانية القيمة للغاية، التى برزت على التعاقب بهذا الوجه فى حق هذا العاجز غير المستحق، وبديهى باهر، أنى لو تكرر لى عمرى الطبيعى فيما بعد عدة مرات، واستكملت تلك الأعمار والمدد، ووقفت وصرفت وجودى الظاهر الضعف، ليل نهار، لخدمات الدولة العلية مع تطبيق جميع أقوالى وأفعالى للمزاج، الخسروى الذى له بالعدل امتزاج، لا يمكن تأدية شكر واحد من ألف مما لا يعد، من عنايات ملجأ الخلاف التى نلتها وشهدتها لحد الآن، فربنا الحى الودود أدام مولانا ولى النعم العالى، وسبب أمن بنى آدم صاحب الشوكة والقدرة والعظمة، السلطان ملاذا للعالم، ملك الملوك، البصير القلب، على سرير سلطنته الحارسة للعالم، إلى آخر الأدوار، وأظل بظلال مراحمه الملوكية، مفارق عبيده، ولا سيما مفرق عبده هذا الذى لا يقبل العتق، وبدوام

واستمرار آمين بالنبي الأمين، فعبدكم هذا العبد الأدنى الذي عبوديته لا تقبل العتق من عبيد مولانا روح العالم، قد ترك النوم والاستراحة، وشمر ساق الغيرة، وجمع ذيل الحمية، مرتبطا له بوسطه، منذ أربع سنين وخمس سنين على مقتضى مأموريتي، حتى وفقت لتنظيف البلدتين المباركتين، وتطهيرهما من لوث وجود الخوارج، بمحض آثار التوجيهات السامية الآيات المملوكية، ولكن من الحالات التي تظهر للجميع، بأدنى ملاحظة، أن الدرعية مقر نحوسة هؤلاء الطائفة طائفة الخوارج، ما لم تشاهد، ولم تلق صدمة قاهرة من العساكر السلطانية الذين لهم مآثر الظفر، وما لم يصبح أكثر هؤلاء الخوارج طعمه سيوف الغزاة، ولم تدخل البقية الباقية من هؤلاء الخوارج داخل سلك الإيمان، بأن يتوبوا ويستغفروا قلبا وروحا، من أن ينظروا فيما بعد الآن، لطرف البقعتين المباركتين نظرا معوجا، وشررا لا يمكن أن يقال انجزت المصلحة وأديت خدمة مأموريتي لديني ودولتي.. ومع ذلك سبق العرض مرارا للباب، مستقر العدالة، من طرف حضرة صاحب الشريف وغيره من المطلعين على أحوال تلك الحوالي، ان حسن ختام هذه المصلحة الخيرية لا يحصل على وفق المرام، بالهجوم من طرف واحد، بل يحتاج ذلك على كل حال إلى الهجوم، بكل جهد وغيرة، من الجهات الثلاث، ولكن من غير أن يكون في معرض التشكي والامتنان، حاشا ثم حاشا، لم يحسن ولم ير أحد بذل الجهد لهذه المادة، وصرف القدرة لاجراء الإرادة الخسروية المفيدة للكرام، ولانفاذها على قدر الامكان، سوى هذا المخلص، فانحصر حصول المصلحة في الجهة الواحدة كما هو ظاهر، وما سبق وأرسل من طرف هذا العاجز على التعاقب، وما يجري إرساله لحد الآن من العساكر السلطانية، إن كان الخمسة منهم استشهدوا حين المحاربة، فالخمسة والعشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة الحر - أنا فأنا، وحيث تبعث هذه الكيفية إلى الدهشة في الصفوف العسكرية، أصبح من المتعسر سوق العساكر وارسالهم إلى الدرعية التي هي بمسافة عشرين مرحلة، وثلاثين مرحلة من مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى آن من الواضح البديهي، نظرا إلى مزاج الوقت، أنه غير بعيد، أن يترك هؤلاء العساكر البلدتين الطيبتين، وأن ينسحبوا منهما متدفقين إلى مصر، لو أحسوا أن

بمصر تكون سلامة أحوالهم، (ويرحب بهم)، وهذا المخلص لم يضن بشيء غير الروح، على من يصلح للخدمات العسكرية من العساكر وقد عاملت كلا منهم معاملتي مع أولادي، مغدقا عيها أنواع النعم السلطانية، منذ خمسة عشرة سنة، تحت سعد رعاية حضرة السلطان، وإنما وفقت لاكتساب رضا حضرة ظل الله، الذي اليمن من مقتضاه بهذا القدر فقط، باستخدام هؤلاء العساكر الذين نشأتهم تحت تربيتي بهذه الصورة في تلك الخدمة، فمعلوم عند الجميع مبلغ صعوبة اقامة العساكر عدة سنوات في تلك المحلات الصعبة المسالك لو كانوا محشودين من هنا وهناك كيفما اتفق، ولم يبق مما أرسلته سابقا ولاحقا، من عدة آلاف خيل وخيال، سوى مقدار ثلثمائة أو خمسمائة حصان، ما بين صالح للعمل، وغير صالح، ويكون معلوما لدولتكم، من مفاد معروضات الوزير المكرم حضرة صاحب السعادة، طوسون أحمد باشا، المتواردة على التعاقب منذ عدة أيام، المرفوعة إلى الأستانة العلية، يعينها في هذه المرة، أن السعود المردود، كيف أتى بالنفس بعساكر كلية، إلى جوار المدينة المنورة، وماذا أحدث، من الثلمة والخسائر هناك، حيث لم يحس بحركة ما، من طرف آخر، وليس الغرض من تفصيل الكيفية بهذا الوجه - ورب البيت - ابداء الشكوى، لا هو من نوع الامتنان، بل القصد من ذلك (أولا): افادة حقيقة الحال، و(ثانيا): افادة أنه لم يكن المراد من طلب الشام أولا وآخرا، جر المنفعة، ولا توسيع المنصب، والله يعلم ذلك - بل مجرد ابراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية، واظهار الصدق والاستقامة، فمهما كان الشام الشريف على سبع عشرة مرحلة، من المحل الذي يقال له الدرعية، مع كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب، فالسهولة ظاهرة في سوق العساكر الكلية، والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق، كما يسهل بذلك أيضا حصول الغالبية بتنصيف قوة العدو على نصفين، بإخراج الجيوش الكلية السلطانية من الطرفين، وبناء على أن إقليم مصر، أزيد من قدر عبدكم واستحقاقه بمائة درجة، وأنه ليس له رغبة ولا مد نظر، إلى محل سواه، تحت رعاية حضرة السلطان، لو أجبرت وأبرمت بعد اكمال الخدمة، وانجازها بقطع الماء واستئصاله من ينبوعه من مدة قليلة بعون الله

ونصرته، وقيل لى ليبق الشام تحت ادارتك البته لكان يضطر عبدكم إلى اضجاركم باستقالتى مع رجاء تفويضه واعطائه لوزير آخر، ومبلغ حاصلات الشام الشريف ومصروفاته التى تحدث فى هذه السنين، وكلفه ظاهر عند أربابه باهر بالوجوه عند هذا المخلص، فيكون سعيى الشخصى مع العلم بذلك، فى تحصيل ما يحمل عليه المصاريف الزائدة، ويكلفه المصروفات الباهظة، مغايرا لطور العقلاء بالاتفاق ، ومن ثمة أحسب واتخيل، ان هذا المخلص لكم، قد اظهر صداقته وعبوديته من هذه الجهة أيضا لمولانا وولى نعمتنا، المنعم بغير من بما أنعم، ولكن حيث لم يجرب صدقى وكذبى بعد على مقتضى طالعى، لم يسمح باسعاف مسئولى ، فمهما كان الملك والعبد لمولانا صاحب الشوكة روح العالم، يتصرف فيهما كيف يشاء، وثرثرة هذا المخلص إلى هذا الحد، وان كانت تتنافى مع مراسم العبودية، لكن الله يعلم أن الغرض طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة، وان ذلك لم يكن مبنيا على خيال آخر، فلو لم أكن قادرا على اعاشة نفسى باقليم مصر، وطلبت منصبا لتوسيع المعاش، لكنت خارجا عن حدود الأدب جدا، لأننى إذا عجزت عن إدارة نفسى بمنصبى الجليل الذى هو من المناصب التى إليها يتحسر الوزراء، يلزم أن أبقى عاجزا عن إدارة نفسى، لو ضم أيضا إلى ذلك المنصب بلاد الأناضول بأكملها، فلو لوحظت ملتمسات هذا المخلص الذى يتلقى أنها باردة، ملاحظة تامة بالوجوه، لحق أن يكون معلوما لدولتكم بالتجريب، أنها غير باردة إلى هذا الحد، بل هى تنجر إلى الخدمة والصداقة باعتبار النتيجة، وحيث أن سفر مخلصكم بعد لأداء فريضة الحج، وتنظيم العساكر، وتجهيزهم ، وتأليف العربان تحت ظلال المراسم الخسروية ـ سأرسل عند وصولى إلى جدة، بعون الله تعالى فى الحال، على طبق الإرادة السلطانية، التى تفيد الكرامة، لاستقبال حضرة الوزير المكرم أخينا، صاحب السعادة سليمان باشا، خاصة من المدينة المنورة عدة مئات من الفرسان ومقدار ألف أو ألفين من العربان وبعض الذخائر، على أن يأتوا بمعية الباشا المشار إليه وفى خدمته. فى أى محل لا قوه مع التنبيه والتأكيد لهم، ان يذهبوا إلى حد «معان» ، إذا أدركوا من غير مكث عند ورودهم قرب المدينة المنورة، والانتظار هناك مع الاهتمام بصرف جل المكنة لذهاب حجاج الشام الشريف وإيابهم سالمين غانمين، ولاستجلاب

الدعوات الخيرية من غير إهمال، تعقب مصلحة الدرعية، فأصرف غاية وسعي ولياقتي، حتي أكون موفقا لفتح الدرعية وتسخيرها أيضا بعون الله جل وعلا، وعنايته، وبامداد روحانية سيدنا مفخر الموجودات (صلي الله عليه وسلم)، وببركات حسن توجه مولانا صاحب الشوكة والقدرة، ولي نعم العالم، وبهمته، والله سبحانه جعل ظلال مولانا صاحب الشوكة دائمة الأظلال، علي عبيده عامة، وعلي عبده هذا الذي لا تقبل عبوديته العتق خاصة مدي الأزمان آمين.

في ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ/ ٩ أغسطس ١٨١٣ م

المترجم

محمد زهدي الكوثري

وثيقة رقم (٦)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ٢٤١.

رقمها في وحدة الحفظ : (١٢٢).

تاريخها : شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م.

موضوعها : عتاب واعتذار، مع ابراز أهمية الشام لانفاذ مصلحة الحجاز.

الجواب المحرر للقائمقام عن مكتوبه الوارد، بشأن تأمين سلامة حضرة والي الشام سليمان باشا ـ مع الحجاج ذهابا وايابا.

وقد صار معلوما بالوجوه، لهذا العاجز مضمون كتاب كرمكم، الوارد بالبريد المزدوج، في هذه المرة خاصة، بيانا عن أن حضرة والي الشام أمير الحاج الوزير المكرم صاحب السعادة سليمان باشا، يستوثق من قبائل العربان الموجودين بطريق الشام بتعاطي سند بينه، وبينهم، ثم يتحرك وهو تام القوة والعدة، مستصحبا الحجاج المسلمين في هذه السنة المباركة، وأن من الضروري تأمين سلامة من بمعية المشار إليه ولحقه ضرر وكدر ـ معاذ الله تعالي ـ سواء كان ذلك بين الحرمين، أو أثناء الطريق من الشام إلي المدينة المنورة، بالنظر إلي ما بلغكم من تحشد الطائفة الوهابية بالدرعية، بعد ذلك بتحريك العربان وتسليطهم من طرفنا، بسبب عدم احالة ايالة الشام الشريف طرف الخادم المطيع، فتذهب خدمتنا لحد الآن في مصلحة الحرمين المحترمين سدي وهباء منثورا، ويوجب ذلك تنزل ما بذل في حق هذا العاجز من التوجيهات، التي لها تأثير الأكسير آيات لدي جناب ملجأ الخلائق، وتعزي هذه الكيفية إلي عبدكم بالمرة. فها عبدكم هذا، وان كان من المجرمين الذين جازت تقصيراتهم الحد، ولكن حيث أني لست من أصحاب البغي والفساد الذين لا يعرفون الدين والدولة العلية، بل من عبيد السلطنة السنية

المتاعين بالدرهم ، الحائزين لرتبة الوزارة العليا من غير استحقاق، مع كوني من أمة محمد أبا عن جد ـ ولله الحمد والمنة ـ فإن كان مشكوكا عند دولتكم، ان الإجتراء علي مثل هذه الفصاحة التي لا يرتكبها سائر الملل من نوع الكفر عند هذا العاجز، فهو معلوم لحضرة الله ذي الجلال العالم للسر والخفايا، وظاهر بالتوتر، خروج أكثر قبائل العربان بطريق الحج منذ عشرين سنة من طريق أهل السنة المستقيم، وتبعيتهم للسعود المردود، وكونهم أشد كفرا من الكافر الخارجي المذهب، وبديهي باهر أيضا، أنهم ليسوا تحت حكمي، وأنهم لا يخلون عن ايراث ضرر وخسائر لحضرة الباشا المشار إليه، ولطرف هذا العاجز لو اقتدروا علي ذلك، ومع كون العربان المذكورين قد نكل بعضهم بالسيف السلطاني الدافع للحيف، واستألف بعضهم بأنواع التكريم والعطايا الملوكية، منذ عدة سنين، قد تحقق لدي هذا العاجز، أن للطائفة الذين اجتلبناهم نحونا إمداداً وإعانة ، لحد الآن ، لعربان الوهابية . الذين يبتدرون كلما سنحت لهم فرصة إلي حالات النهب والقتل، إزاء العساكر السلطانية المنبثين في مختلف أنحاء الحجاز، حتي أنهم قبل مدة داهموا في جهة الطائف ثلثمائة عسكري من غزاة المسلمين ومعهم قائدهم البكباشي الذي له منزلة واعتبار عندنا علي حين غفلة، فقتلوا هؤلاء الغزاة عن آخرهم، فراحوا شهداء من غير أن ينجو منهم أحد، كما أن عبدكم مصطفي بك سر جشمة الدلاة، حينما قام في هذه المرة من الطائف مع عساكره الموجودين بمعيته، واشتبك بالحرب بأعلي قلعة طربة (تربة). دهمهم علي غرة ابن شكبان وعبد الله الملعون ولد السعود ومعهما عربان كثيرة للغاية، فنهبوا الجيش، وأغاروا عليه وقتلوا عدة مئات من رجاله فها هو قد وقع التحرير والانهاء، من طرف حضرة والي جدة الحالي، الوزير المكرم صاحب السعادة، طوسون أحمد باشا، إلي طرف هذا العاجز، أن للعربان الذين هم في جهتنا مدخلا خفيا في الاغارة، وحيث قدمت التحريرات المذكورة بعينها إلي طرف دولتكم، يكون تفصيل الكيفية معلوما لدي دولتكم من هذه التحريرات، والسعود المردود الذي يدعي الخلافة. والسلطة، من غير اكترات، بشيء من سنين وافرة، لا يتأخر عن الخيانة بالوجوه، لطرف هذا العاجز، وطرف المشار إليه، إذا قدر واستطاع لذلك ظاهر ظهور

الشمس في وسط السماء عند الجميع، وليس بمعلوم، ولا بمفهوم، لدي هذا الخادم المطيع، أنه إذا لزم وقوع نوع من الضرر ـ معاذ الله تعالي ـ لحضرة والي الشام الباشا المشار إليه، بأي جهة يكون تجويز عزو ذلك إلي صوب عبدكم، حتي انقلبت مسرة العيد الشريف ـ والله يعلم ـ إلي أنواع من الحزن والألم، لمصادفة ورود أمركم ليلة العيد الشريف، وأظن أنه لو كان السعود المردود، منقادا للدولة العلية الأبدية الدوام، جاريا أمره ونهيه علي اكثر طوائف العربان، وهم تحت الطاعة، ما كان يستحق لهذه القولة وهذا النوع من التوبيخ والتعنيف، بملاحظة ظهور تجاوز من عدة قبائل تخالفه، واحتمال وجود أمثال ذلك بين تلك الطوائف الكثيرة، علي أن عبدكم هذا عبد صادق في العبودية، لمولانا السلطان، ملجأ الأنام، والعدل في الأحكام، ولي نعم العالم، باعث أمن الملل والأمم، صاحب الشوكة والقدرة والعظمة، بحيث لاتقبل عبوديتي العتق، ويعلم الله العليم للغيوب والسرائر في الباطن والظاهر، أنه ليس لي بغية ولا أمنية في هذه الدنيا الفانية، سوي أن يكتب اسم هذا العاجز ويسجل في جريدة العبيد الصادقة العبودية، للدولة العلية، بتحصيل الرضا الخسروي، الذي من مقتضاه الميامن، ولما فكرت أن تعنيفي بهذا الوجه مع ذلك كله في مثل هذه الأيام المباركة، إنما يكون في تقصير صادر مني، هدأت نفسي بعض هدوء، وتسلي قلبي المحزون، بملاحظة أنه لا نهاية لعفو حضرة السلطان وعنايته، ولعل من جملة تقصيراتي، طلب احالة الشام إلي طرف هذا العاجز في السنة فقط، لكن الله يعلم أن هذا الطلب، ما كان لجر منفعة، ولا لتوسيع المنصب، بل كان ذلك عبارة عن مجرد الخدمة والصداقة من هذا الوجه أيضا، وكنت اجترأت من غير تفكير بسوء الظن الجاري في حق هذا العاجز، علي تحرير مادة الشام الشريف، بملاحظة أن بلاد العرب، يعسر فيها إنتاج مصلحة، بمجرد النقود والعساكر، بل يلتزم فيها رؤية المصلحة اللازمة والحمل علي رؤيتها، مرة بالجبر والاقدام، وأخري بالمداراة والاكرام، حسب ما يحتمه التجريب المكتسب من امضاء مدة كبيرة في درس طبائعهم، وكما يقتضيه الحال، مع أن حضرة والي الشام المشار إليه، وإن كان أعقل الوزراء العظام وأرشدهم في حد ذاته، وممن يفتخر بفداء المال، والروح في سبيل

مرضاة حضرة السلطان، لكنه حيث لم يمض إلا مدة قليلة منذ شرف الشام الشريف برتبة الوزراء العليا، ليس له اطلاع بعد علي هذه الدقائق، وقد لا ينتبه إلي دسائس طائفة العربان ومكرهم، فربما تحدث في أثناء الطريق - معاذ الله - حالة توجب المذلة، فتذهب الاتعاب التي عونيت في سبيل اخضاعهم ادراج الرياح، فلو اخرج من الشام الشريف، إلي طرف الحجاز، والي جهة الدرعية، جيوش كلية سلطانية، ويضيق الخناق علي الطائفة الوهابية، من الطرفين، لكان ذلك مدارا علي تحصيل من الحجاج المسلمين، وسهولة حصول فتح الدرعية وتسخيرها بعون الباري وعنايته، وبيمن توجيه جناب مالك العالم، لكن لم يسمح باسعاف مسئولي هذا، الواقع لمجرد عرض الخدمة والصداقة، بهذا النوع من التدبير، وأبقي الباشا المشار إليه، حتي تعلقت الإرادة الملوكية التي مفادها الكرامة، بالاعانة له من طرفنا علي مرتبة الامكان، ولما أصبح، معلوما عند هذا الخادم المطيع بورود عبدكم نجيب افندي كتخدانا بالباب العالي بمأمورية مضمون المرسوم الجليل الشأن، الصادر بالشرف لهذا كنت بعد أفاء المراسيم والسمع والطاعة، عرضت وأنهيت لمقام دولتكم صادقا، كيفية صرف نقد غيرتي وجهدي للاعانة المستطاعة، لحضرة الباشا المشار إليه، وحينما ورد عبدكم الأغا، سلحدار حضرة الباشا المشار إليه، لطلب الاعانة من طرفنا، قبل ورود الأفندي المومي إليه بمدة، كنت ذكرت أننا مع حضرة أخينا صاحب الدولة الباشا، وبناء علي أن مأموريتنا من مصالح الدولة العلية، لا يقع تجويز ادني تقصير بوجه من الوجوه في المعاونة اللازم اجراؤها، فيما بيننا، وكررت تلك المزايا، كلمة فكلمة، وقلت أنه إذا رغب الباشا المشار إليه في الامداد بفرسان كثيرة كلية، علي أن يكون ذلك مثقلا لكواهل حضرة أخينا الباشا أصلا، أقوم بذلك، وان كان لا حاجة له إلي العساكر أرسل إليه ما أمكن ارساله من النقود وأتعهد أن أعطي له ما يكفي من الذخائر بين الحرمين، وهكذا اعدت السلحدار المومي إليه موصيا له بتبليغ دعواتي، مع الإسراع في إشعار ما يختارونه، واختاره، وبينما أنا في استقباله بمقدار من الفرسان من المدينة المنورة، وأن ذلك هو المطلوب، فحررت ترتيبات هذا الخادم المطيع بشأن الاستقبال تفصيلا إلي الباشا المشار إليه، علي الوجه الذي عرض سابقا لطرف دولتكم، وبعث التحرير بساعينا المخلص، ولما ورد

سلحداره إليه قبل وصول تحريراتنا المذكورة، وعلي الباشا المشار إليه، كيفية اعانتنا، أتي عبدكم كاتب ديوانه الأفندي في أواسط شهر رمضان الشريف، ولما علم عبدكم من تحريره وتقريره، أنه يطلب أن يرسل إليه مقدار من النقود بالعدول، وصرف النظر عن ارسال العساكر، قلت بمحضر دعاتكم السادات قضاة مكة والمدينة ومصر (مكة ومصر ملاطري افنديز)، وبحضور عبدكم لجيب أفندي : أني كنت تعهدت بأني لا أقصر في الاعانة لحضرة أخينا الباشا المشار إليه، وبأني أجري حالا أي شق يختارونه من الشقين المذكورين، لكن امتثالا لما أصدرته الدولة العلية الآن، أقوم باستقبال أخينا الباشا لحد «معان» من المدينة المنورة بمقدار كلي من الفرسان بصرف ما يتراوح بين خمسمائة وستمائة كيسة نقدية من النقود لذلك، كتبت هذه الكيفية إلي الدولة العلية، مع أن حضرة الباشا الآن، لا يطلب العساكر بل يطلب النقود، فإذا وردت تحريراته القطعية الافادة في أنه لا حاجة إلي العساكر علي هذه الصورة، أرسل إليه ما يصرف للعساكر من خمسمائة كيسة نقدا وبناء علي المصروفات التي لا تطاق لأجل العساكر المرتبة المهيأة لمحافظة الحرمين، وللزحف علي الدرعية لا يمكن لي أن أعين من الجهتين، وإنما أقدر أن أعين من جهة واحدة، وأما ما سوي ذلك فخارج عن وسعي، وحيث أن الوقت ما كان يساعد ويتسع لتحرير ذلك تفصيلا إلي حضرة المشار إليه، وورود جوابه تكراراً استصدرت حواله بمبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية إلي تجار معتبرين بالشام الشريف، وأرسلناها بساعينا الخاص مع التحرير والانهاء تفصيلا لطرف الباشا المشار إليه أن يتسلم مبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية من محلاتها عند حلول ميعاد أحد عشر يوما من تاريخ الحوالة، ومبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية الباقي، سيدفع اليه نقدا يوم دخوله المدينة المنورة إن شاء الله تعالي، فيما إذا كان عساكر الاستقبال غير لازمة، والحال أن عبدكم علي أمل ابراز الخدمة والصداقة، واظهار السعي والغيرة لهذا الشأن، حسبما تعين بالتجريب.

إن الحرمين الشريفين، لا يبقيان مصونين من مكائد الوهابيين، ما لم تنته مصلحة الدرعية، أقوم بالنفس من مصر بعساكر كلية، بوسيلة الحج لغاية ستة أيام من تاريخ عريضتي هذه،

وأذهب إلي المدينة المنورة، وقد تركت النوم والاستراحة لشئون الاقبام والاهتمام بأمن حجاج المسلمين ذهابا وايابا، ولتحصيل أسباب ضبط الدرعية وتسخيرها، مع صرف الوسع والطاقة، لاستجلاب الدعوات الخيرية من حجاج المسلمين، وسكان البلدتين المباركتين، لمولانا صاحب الشوكة والقدرة، أقسم برب البيت: لقد انساب شعوري من حيرتي، حيث لم يدرك عقلي القاصر، ما هي الحكمة في تعنيفي بهذه الصورة مع ذلك كله، وما هو السر في تعنيف عبد، لا تقبل عبوديته العتق، ويتفاني في الخدمة إلي هذه الدرجة، بمثل هذا التعنيف، يا مولاي ولي النعم، إذا كان يلزم عزو، ما يقع من الخيانة لحضرة والي الشام المشار إليه، الي طرف عبدكم، فإلي أي طرف يلزم أن تنسب الخيانات الواقعة مرتين في حق العساكر السلطانية المأمورة من طرف عبدكم كما بين آنفا، والعساكر السلطانية الموجودة بالحجاز منذ ثلاث سنين، ان مات منهم من وخامة الماء والهواء مقدار ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عسكري، فسبعة أو ثمانية آلاف نفر منهم استشهدوا في محاربة قبائل العربان، وراحوا ضحايا لمولانا ظل الله صاحب الكرامة، وولدي حضرة طوسون أحمد باشا، وقد جرح في الحرب مرتين فإلي من يلزم أن يعزي ذلك أيضا، والحاصل أن الذوات الكرام الذين يتولون امارة الحاج، أيا كانوا، إذا لم تكن حركتهم بقوة وقدرة من جميع الجهات، مادام هذا العدو القوي ماثلا في ميدان الكفاح، لا شك أن العدو المترصد للفرصة من القديم، يسعي في انتهاز الفرصة وعدم افاتتها، فإذا قام حضرة والي الشام المشار إليه، خفيف القوة لا جرم تحصل وسوسة، مهما أعين من طرف هذا العاجز، كما هو بديهي معاين من لوائح الحال. والله ذو الجلال خالقنا جميعا، يعلم أنه لا يقع من طرف عبدكم غير الاعانة لحضرة المشار إليه، فلنسع ولنتقدم بالاتفاق جميعا، لاكتساب ذكر جميل بين الأقران، بابراز خدمة حسنة لمولانا ملجأ الخلافة ولي نعم العالم، الذي لا يمن بأنعامه من غير أن يري لاتقا التزام أحد الجانبين، وتحقير الجانب الآخر بدوسه تحت الأقدام، وحيث أن عبدكم من العبيد الذين حرموا النوم علي أعينهم، والاستراحة في الليل إلي الصبح، بالتفكير في طريق حصول الموفقية، لا في هذه الخدمة للدولة العلية فقط، بل في أمثالها الكثيرة للغاية من المصالح الجسيمة المشكلة الصعبة، فكرت وصممت بوسيلة الحج الشريف في هذه السنة المباركة، علي أخذ الانتقام من أعداء الدين، وتصفية الدرعية بصرف مبالغ طائلة جدا، كما

يعلم ذلك إذا نظر بنظر الانصاف، قد علم الجميع اغارة العربان الذين هم تحت حكومة حضرة والي صيدا علي جمالنا بصورة علنية، ومع ذلك ما كان عزي التقصير إليه في ذلك، بل عومل بالتسامح والتغاضي عنه، وعومل عبدكم بالتكذيب، فكيف يمكن أن يسند ويعزي إلي عبدكم، ما إذا وقع ايراث ضرر وخسارة لحجاج الشام عياذا بالله، من قبل أشقياء العربان الذين لا مناسبة لي معهم، ولا هم تحت حوزة حكومتي، ولا سيما طائفة الوهابية الذين هم أعداء أرواحنا جميعا، والله سبحانه قهر باسمه القهار، بحرمة الحرمين المحترمين واسمه الأعظم، من يستهدف ويقصد ايراث ضرر خفية أو علنا، ناظرا بأدني نظر خيانة للدين المبين المحمدي، وللدولة العلية السرمدية، وأنال من ينطوي علي نية الخدمة والصداقة لآماله في الدارين أمين بالنبي الأمين، فحينما أصل بمنه تعالي إلي مكة والمدينة، استفتح البيت الشريف، والروضة المطهرة اللطيفة وأحمل قاضي مكة وقاضي المدينة علي الدعاء بهذه الصورة بأعلي صوت، يسمعه جميع الموجودين من حجاج المسلمين من صغير وكبير، وأطلب منهم التأمين علي هذا الدعاء، وأحملهم عليه، وإن كان ظاهرا سواء ظن حضرات أولياء الأمور في حق عبدكم، لكن عبدكم علي مقتضي عبوديتي وصداقتي، أقدم جهد طاقتي بكل افتخار، وأسعي في رؤية خدمة مولانا ولي نعمتنا الذي لا يمن بأنعامه، وان لم يعرف ذلك، ولم يعترف به أحد، فالله يعلم أولا، وحضرة مولانا روح العالم ثانيا، وحيث أني جازم أنه لا يضن بمراحمه وشفقته الملوكية في حق هذا العاجز، وقع ابراز اخلاص هذا بوسيلة رجاء العفو عن ايراث صداع إلي هذا الحد.

في ٥ شوال سنة ١٢٢٨ هـ/ ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م

المترجم

محمد زهدي الكوثري

وثيقة رقم (٧)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية ـ القاهرة.

وحدة حفظها : محفظة (٤) بحريرا.

رقمها في وحدة الحفظ : (١٣٨).

تاريخها : ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٥ م.

موضوعها : من محمد نجيب إلي محمد علي، بشأن الاستعلام عن كيفية إدارة الشام في حالة توجيهها إليه.

حضرة سيدي، وولي نعمتي، صاحب الدولة والعناية والعطوفة والأبهة والرحمة: مع الدعاء لامتداد عمركم بالاقبال والاجلال والدولة والأبهة الدائمة، ولتكن شمس منظار ذاتكم الولية النعم، ناثرة الشعاع الوفير، يعرض عبدكم أنه قد ازدانت يد التعظيم، بأمر ولي النعم، المرسل هذه المرة مع عبدكم سليم أغا الساعي، ورفيقه، والمحتوي علي انكم تفضلتم وأرسلتم مكاتبة إلي الباب العالي، وأخري إلي عبدكم، وذكرتم بوجه التفصيل انكم تفضلتم ببذل المقدرة والهمة الموفورة في انتاج المسائل الخيرية، والحجازية وتهيئة الجمال واللوازم الأخري التى هي من أقوي الأسباب ، فى أمر قهر واضمحلال الخوارج الخونة ، وبما أن جبال اليمن والحجاز مملوءة بالخوارج ، وهؤلاء قاموا سابقا وبدون ريب بالمعونة الكثيرة لابن سعود المردود ، واستولوا على الحرمين الشريفين ، فليس من المأمول أن يستتب الأمن فى الحرمين بدون اتمام وضع الخوارج المذكورة داخل النظام ، واصلاحهم قبل القيام بالحروب ، وانه تحصل السهولة فى مسألة الدرعية أيضا ، بعد هذا الانتظام ، بمعونة الرب المستعان ، وبناء على أنه يتم الحصول على اخضاع ما لا يحصى من القبائل الضالة الكائنة فى الحدود والجبال المذكورة وعلى صرفهم علي ما ألفوه من الاعتقادات الباطلة ، واصلاحهم بالسيف ،وأنه جاري اخراج العساكر الوفيرة والحرب قائم ، فمن المقرر أن ذات ولي النعم المنطوية على الشجاعة ، ستتفضل باظهار السطوة والبسالة من

جهة الصحراء ، كما ان عساكر البيادة والسواري التي سترد بعد حلول وقت الحج ، ستزحف من فوق الجبال المذكورة بالجمال المرتبة ، وستبذل المساعي والحمية فى قهرهم واستئصالهم بمنه تعالي ، وفقط بما أن المسائل المذكورة هي من الأمور الجسيمة ، فعندما تم الاصلاح فى تلك الجهات بعناية المولي ، فإن التوجه الى الدرعية يحتاج على الاقل الى عشرين ألف جمل من غير كلام ، وقد أمكن هذه المرة استحضار ثلاثة آلاف جمل فقط ، من جهات الشام ، بما بذل من كثرة المساعي والأموال ، ثم بناء على لزوم مداركة الجمال والمواشي الأخري اللازمة بحسب هذا التقدير ، والمبادرة لتهيئة عساكر ، واخرج جيش من جهة الشام ، بالنظر الى قربها لجهة الحجاز المشرفة ، فأن توجية ولاية الشام المذكورة الى دولتكم من أهم الأمور ، ولقد اطلعت علي مضامين أمركم هذا ، وحالا عرضت ذلك على الباب العالي ، وعلي المحلات العالية الأخري ، وقمت بالافادة والتفهيم ، بوجه التفصيل ، عن أن الوقت هو وقت بذل الهمة فى حصول الملتمس وأيضا الأوان هو أوان اعادة انجاز الوعد ، بالنظر إلى أن حصول نتيجة حسن الختام فى المسائل الخيرية ، هو من الأمور المعتني بها ، كما أني اهتممت فى هذا الشأن ، وأفدت الى حضرات أولي الأمر ، والى من يلزم من أجلة الكبراء فردا فردا ، بأن ايفاء شروط المعونة مترتب على عهدة الديانة ، كما أنه من لوازم السلطنة لانه يتوقف النظر فى الأمور المذكورة وادارتها وحسن ختام المصلحة علي انجاز الملتمس ، كما أن ذلك يكون موجبا لسهولة المسألة من كل الوجوه ، ثم انني زدت عن الحد ، وبذلت المقدرة فى قول الحق ، وحيث أن اتفاق الآراء فى الخصوص التي من هذا القبيل ، هو من القواعد المرعية ، فقد عقد مجلس الشوري بضعة مرات ، وفى المشورة الأخيرة ، تقرر الاستعلام عن أنه فى حالة توجية ولاية الشام الى دولتكم ، كيف يكون النظر فى أمورها ، بأي وجه تحصل المعونة ، وتكون المبادرة لادارتها ، وعليه فعندما يكون تفصيل الأمر معلوما لدولتكم من مكاتبة حضرة الصدر الأعظم ، يلزم التفصيل ببذل العناية فى الاسراع باعادة الساعي المذكور ، بالجواب اللازم ، وبما أني عبد مملوك لأحكام دولتكم فإن مابذلته من المقدرة وكثرة المساعي فى الافادة عن المرام ، واجتنابي

ارتكابي التقصير و الفتور مع نسيان النوم والراحة ، وترك كل شئ من الأمور المعلومة لعالم الأسرار والخفايا ، والظواهر أيضا لقلب سيدي ولي النعم الملهم ، وقد وضعت طي عريضتي صرة من الافادات التي قدمت الى الباب العالي ، بعد القيام بكتابة تقرير عبدكم سليم أغا المومي اليه ، لكي تكون منظورة لدولتكم ، وحيث أنه وان كان قد حصل الاهتمام ، بحصول الملتمس المذكور من كل الوجوه ، إلا أنه لم يحن وقته المرهون ، ولم يبرز الدليل فى هذا الأوان ، فقد أوجب ذلك انسلاب الراحة والاستقرار فى بحر التفكير ، ومن البديهي أن كيفية الموانع التي ظهرت ستكون بتقرير عبدكم المومي اليه ، لانها معلومة له ، هذا وأن الافادة عن أني والحالة هذه منتظر ، وصول جواب المسألة التى حصل الاستعلام عنها فى أقرب آن ، وعن أني قائم بالدعاء لنوال العون والعناية الإلهية ، صارت وسيلة لعرض عبوديتي لدي التفضل باحاطتها علما ان شاء الله تعالي ، فان الأمر لجناب سيدي ولي النعم .

في ١٥ شوال سنة ١٢٣٠ هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٥ م

ختم ترجمة

محمد نجيب يوسف فهمي

الملحق الثانى

وثائق تتصل بحصار عكا
ولها علاقة بحروب الشام شمالا

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : رغبة الباب العالي فى حسم النزاع بين محمد علي ووالى عكا بالطرق السلمية .

تاريخها : ١١ ربيع الأول ١٢٤٦هـ

مصدرها : محافظ بحريرا محفظة رقم ١٤.

من مجهول الى الجناب العالي

« بناء على مايبدو من جنابكم العالي من امارات التفضل بالأخذ فى أسباب تأديب والي عكا وسوق القوة عليه بقصد التنكيل به ، وذلك نظرا لغضبكم عليه وحدوث بعض مايؤدي الى اشتداده من الأسباب هذه المرة قد أرسلت محررات من قبل المقام القائمقامي الى مقامكم الرفيع والي الوالي المشار اليه فى سبيل أصلاح ذات البين وبهذه المناسبة أقول : أن ذاتكم الخديوية الحميدة الخصال لستم مثل غيركم فى وجه من الوجوه ولاسيما أن حضرة صاحب الجلالة سلطان السلاطين لايرضي مطلقا بما يزعج خاطركم السامي على ما سمعه وحققه هذا العاجز ولذلك أكد علي الوالي المشار اليه بأن يكون فى حالة الانقياد ، ثم أن اهتمام جنابكم العالي بموضوع تأديب والي عكا يضم مشغلة أخري علي مايشغلكم من الشواغل الكثيرة المهمة من جهة ويؤدي الى اختلال (الأمن والنظام) فى تلك النواحي من جهة أخري وخصوصا يفكر فى هذه الايام فى تبديل ايالة الشام وبقاء الاحتساب فى الشام الشريف ولكيلا يمتد الاختلال الى الشام الشريف أيضا بسبب عكا فلو تفضلتم وعملتم فى هذا الموضوع بمقتضي الكتاب القائمقامي لنال عملكم هذا القبول والتقدير وارتياح جلالة السلطان هذا ما فهمته من كلام بعض الواقفين على لدينات الأمور وبسطت المقال لبيان الواقع وبعد فالأمر بيد حضرة من له الأمر » .

ـــ يستخلص من هذه الوثيقة رغبة الباب العالي فى اصلاح الأمر بين محمد علي ووالي عكا حتي لايختل الأمن والنظام في بلاد الشام .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : ثقة إبراهيم باشا في فتح عكا ومطالبة والده بضرورة الاهتمام بالأسطول المصري .

تاريخها : ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ .

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٢ وثيقة ٥٤ .

من سمو إبراهيم باشا من صحراء عكا

الي الجناب العالي :

ولي مولاي ولي النعم . قد تلوت الأوراق التي أرسلها أخيرا خادمكم طوسيجة وجيجنيا[1]والكتب التي جاءت من اسطنبول وأحطت بمضمون كل منها وعلمت منها أن دولتكم كتبتم في أمركم السامي ما أصابكم في عهد كبركم من ضجر وعناء من جراء مهمة عكا فيا مولاي ، لايضيقن صدركم المبارك ، ولا تضجر وتقلق بالكم بمسألة عكا اذ أن أجلها قد اقترب اقترابا محسوسا . نعم ، قد سبق أن صدرت منا تقصيرات وكان عبدكم هذا قد اعترف بها ، ولكن الآن فلسنا متوانين في أعمالنا حتى إذا وضعنا البارود في النقوب [٢] وانتهينا من اتخاذ الترتيبات التي نحن في صدد وضعها ان شاء الله الرحمن فلم يبق لدينا أي ريب في أن نفتحها بحوله تعالي بالزحف عليها . فانتظروا بشري فتح عكا لغاية ثمانية أيام إن شاء الله تعالي فإن لم نجد بعد فتح عكا سفينة حاضرة تقل عبدكم عثمان بك فاني مرسلها[٣] الي أعتاب مراحكمكم برا محمولة علي دواب البريد . ولنعد الي موضوعنا . فلو

١- أحد أصحاب البيوت التجارية الأجنبية ، وهما من قناصل الدول الأجنبية المشتغلين بالتجارة .

٢- يقصد الألغام .

٣- أي البشرى .

أقدمت اسطنبول علي قتالنا كان فتحهم باب القتال من حسن حظ مولانا ولي النعم ، ومن سعد طالعه السامي . إذ أن صيت مولانا وشهرته وعزته ورفعته وحمايته لهذه الأمة انما يتحقق كل ذلك بالاصطدام بهؤلاء بيد أن جل رجائي من جناب مولاي هو أن تتكرموا بتجهيز الأسطول بكل اهتمام ودقة واخراجه مع قباقين [٤] في أقرب وقت ، وأني أناشدكم بالله ورسوله أن لاتصغوا الي مايقوله سريزي [٥] في خصوص زينته ونظامه [٦] إذا أننا إذا قارنا كلامه الذي سبق أن أفضى به الي دولتكم في القباقين الأول والثاني بما قام به من الأعمال تبين أن من القضايا المسلم بها عدم جواز العمل لكلامه . وقد سبق أن أنبأتمونا في الكتب الواردة قبل من الاسكندرية أن الفرقاطات المرسلة أخيرا الي الاسكندرية لتغيير سواريها قد تتم أعمالها لغاية عشر من رمضان الا أننا لما سألنا عبدكم القبطان عبدي الذي حضر أخيرا من الاسكندرية في مدة سته أيام قال لنا أن الفرقاطات لم تركب بعد سواريها ففهمنا من ذلك أنه قد اتبعت فيها الأصول سريزي فباءت بالتأخير واني لأراني مضطرا الى أن أضرع الي دولتكم مرة أخري وأناشدكم بالله تعالي أن لاتثقوا بكلام (سريزي)المذكور وتجهزوا الأسطول وقباقين وتخرجوها عارية من الزخارف إذ أن خروج أسطولنا في أقرب وقت يفيدنا من وجهتين : الوجه الأول أن اسطولنا لايدعهم أن يلقوا مراسيهم في أي جهة باذن الله فيستحيل عليهم أن يرسوا في مياه مصر والوجه الثاني أنهم لن يستطيعوا أن يحاصرونا في هذه الجهات فتنحصر مهمتنا اذا في البر فأيما رجل ارسلوه فانهم لايستطيعيون أرسال رجل أشجع وأقوي من

١- القباق عباره عن بارجة حربية كبيرة .

٢- سريزي Cerisy مهندس بحري فرنسي اشتهر بالخبرة والدراية في شئون البحرية ، وخاصة في بناء السفن والأحواض والترسانات ، وقد قدم الي مصر في عام ١٨٢٩. فاستعان به محمد علي في اعادة بناء بحريته .

عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، القاهرة ، النهضة العربية الطبعة الثالثة ١٩٥١ص٤٢٨.

٣- يقصد الأسطول .

عبدكم ابراهيم . وإن ساقوا أى نوع من الجنود لايجدون مثل جنود العرب [٧] الذين جندتموهم وأرسلتموهم الي معيتي . فأرجو أن تتفضلوا بالمسارعة الي تجهيز الاسطول واخراجه اما اذا كفوا عن قتالنا بعد هذا الظهور فاني لا أعد ذلك من عظيم سعد طالع مولانا ، ولكني اعتبره مقياسا صغيرا من حسن حظه .

ختم

سلام علي ابراهيم

٧- يقصد الجنود المصريين .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

(أ) قلق محمد علي من تأخر سقوط عكا ، وتكبد قواته الخسائر الباهظة اثناء حصارها .

(ب) قيام ابراهيم باشا بتطمين والده بأن عكا علي وشك السقوط ، واعترافه بوقوع بعض التقصير من قواته ، ووعده بتلافي ذلك مستقبلا واستكمال استعدادته .

(جـ) مطالبة ابراهيم باشا لوالده بضرورة تجهيز الأسطول ، واستكمال معداته حتي يتمكن من الوقوف فى وجه اساطيل الدولة العثمانية .

(د) اشادة ابراهيم باشا بتجنيد محمد علي للمصريين .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة : محاولات تسوية النزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي بالطرق السلمية ، وتحذير ابراهيم باشا لوالده من مراوغة الباب العالي خلال المفاوضات .

تاريخها : ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ .

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٢ ترجمة الوثيقة رقم ٥٨.

من سمو ابراهيم باشا السر عسكر .

الى الجناب العالي :

« هذا مايبديه عبدكم :

تقليت أمر دولتكم الصادر فى ١٧ من رمضان ١٢٤٧ وتلوته بالاجلال والتعظيم وقد جاء فيه انكم اذ كنتم تعدون العدة من إجل ايفاد عبدكم بهرام أغا الخزينة دار [١] الى الاستانة اقترح المأمور نظيف أفندي [٢] على دولتكم أن يذهب اليها مع اثنين من رجال دولتكم المعتبرين فى سير سريع للتوفيق بين هذا الاختلاف وحله ثم يعود وأنكم ناظرون فى هذا الشأن ومنجزون ماتفيده هذه الأقوال التى قيلت . وقد يخطر ببالي ياصولاي ، أن المأمور مصطفي افندي المشار اليه أراد أن يمحص مافي فى ضمير دولتكم بسؤاله . الا يصح أن تولي الدولة على عكا بعد فتحها وزيرا يتبع رضوانكم؟» وقد سبق أن دار هذا الحديث بيننا وبين برتو أفندي[٣] فلو قيل له ياأفندي لقد كنت رفعت الى المقامات العليا وبينت لها « اني لست

١- خزينة مأخوذه من الكلمة العربية خزانة ، وكلمة دار فارسية بمعني صاحب أو مدير .

أنظر ، د. عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها جـ ١، ص٥٩٦.

٢- مصطفي نظيف أفندي أحد رجال الدولة العلية ورئيس محاسبة الحرمين .

٣- كتخدا الصدر الأعظم . أنظر : أسد رستم . المصدر السابق ص١٢١ .

طامحا فى عكا وانما نريد أن يعزلوا عنها هذا السفيه ولهم الخيار فى توليةوزير مناسب وارساله وليأخذوا الخزينة التي يجدونها فى عكا إن شاءوا » واني لم أزل ناويا هذه النية ، وكان غرضي من هذا أن احفظ لمصر شرفها ومكانتها في ظل الذات الشاهانية بهذه الوسيلة وأن أقدم للدولة العلية خدمة بهذه الملابسة واللغا[٤] من الامور التي زعموها وذهبوا اليها لم تكن من الشئون التي تقع بخلدي ، ولقد التمست قبل ايام اسناد ولايتي صيدا والشام الى تكرما من الذات الهمايونية . وأنما قلت هذا بنية خالصة هي القيام بالخدمة نحو ديني ودولتي عامرا تلك الديار ومصلحا أحوالها. ولقد أصلحت أمور جزيرة كريت دون أن يدمي أنف أحد[٥] حتي صارت الى هذا المصير الحسن فليستردوها اذا شاءوا . اما اذا شاءوا أن تصبح اكثر عمرانا فليتركوها لنا . فهذا أمر منوط بمشيئة الدولة العليا وحدها . أما إذا أرادوا أن يطعنوا فى أو يسوقوا على جنودا متخذين وسائل من هذه المقالات فعليهم أن يفكروا فى العاقبة التى تترتب على ذلك . لأننا نضطر بلا مرية الي عمل ما نستطيع عمله غير ملتفتين اذ ذاك الى أي شئ من تلك الاعتبارات .. فاني لأظن علي مايجزم به عقلي القاصر أنه لن يجد اجابة علي هذا التصريح وأما مصطفي أفندي[٦] فقد يفهم من اقتراحه السفر والعودة مع اثنين من رجال دولتكم المعتبرين انه يعمد الي خدعه يريد التخلص بها اذ أنه لم ينبغي أن تكون هناك حاجة الى سفره مرة أخري الى اسطنبول والعودة منها لانجاز المهمة وقضائها ، لأن الموفدين حتي الآن لانجاز مثل هذه المهام قد قضوا مهمتهم كتابة ولم يدعوا الي رجوعهم الي اسطنبول . ولايبعد أن يقصد هذا من رغبته فى السفر الي اسطنبول مع اثنين من رجال سموكم المعتبرين محض اقناعهما بزخرف الكلام وملأ أدمغتهما كما يشاءون وتدوين أسئلة اساتينهم[٧] وأجوبة هذين

٤- كذا في الأصل ولعلها اللغو .

٥- يقصد بدون اراقة دماء .

٦- يقصد مصطفى أفندى نظيف .

٧- كذا وردت وأظنها أساتذتهم .

الرجلين واذاعتها في كل جهة اتهاما لمصر ثم اعادتهما الى مصر ليفرغافيها ما ملئ به دماغهما ليكونوا رابحين من هذه الوجهة ايضا . ولئن ارسل نفر من رجال دولتكم المعتبرين لايستطيعوا مجاوبة أولئك القوم فلذلك أفضل أن يندب المرفدرن من صغار الرجال اذ كان أريد من انتداب رجل أو رجلين لكي يحدثوهم كما علموا وصفوة القول يؤخذ من ظواهر أحوال مصطفي افندي وأطواره ، ومن كلمات رجال اسطنبول المنطوية علي الفساد ومن ضغائنهم الطبيعية ان حكومة اسطنبول اتبعت في هذه المسألة سياسة ذات وجهين فانتقيت مصطفي افندي مزودا بخدع ودسائس لاكتساب الوقت وتنفيذ اغراضهم الأصلية اذ نحن اقمنا هاهنا عند عكاء ، أو محايلتنا اذ نحن لم نقدم عندها ، ريثما يجدوا وسيلة لوقف زحفنا الي الأناضول وتوغلنا فيها توغلا بليغا. ولذلك لما سمعوا اشاعات مبالغ فيها عن الفشل الذي أصاب أصحاب السفن المصرية في ضرب عكا قالوا هذه هي فرصة هزيمتهم التي ينبغي انتهازها وتوسلوا بتحقيق اغراضهم المشئومة التي كانت تكنها صدورهم من قديم الزمان . وهذا أمر معلوم ظاهر من أعمالهم وحركاتهم وأطوارهم ولئن نظرنا الى انهماك حكومة اسطنبول ومبالغتها في اعداد الاسطول والي دعوتها والي سلسترة دعوة خاصة وشموله بالعطف والاكرام الي هذا الحد وتنزيلهم جنودا الى سواحل انطاكية والعلائية فلا يبعد أن يقصدوا مصر بأسطولهم مباشرة في حين سوقهم علينا جنودا نظاميين وغير نظامين من جهة البر متظاهرين بأنهم يقصدون بر الشام ونفهم من قرائن أحوالهم أنهم ماداموا لا يخافون بأس الأسطول المصري بحكم الاشاعات المبالغ فيها التي سمعوها ففي أمكانهم أن يرسوا أمام الاسكندرية أو ابو قير أو بورلس [٨] ودمياط ان لم ينزلوا جنودا الي السواحل المصرية وهم يزعمون أنهم يقدرون بذلك علي منع نقل الذخيرة والمهمات الي هذه الجهات كما يستطيعون اغواء أهل البلاد وتحريضهم . والحق أن اسطولهم لو خرج بسرعة فأحاط بنا ولم تأتنا قبل ذلك

٨- كذا في الأصل ولعلها البرلس .

من الذخيرة مايكفينا نحو أربعة أشهر أو خمسة فانهم يستطيعون أن يحرجونا هاهنا ويذيقون ضائقة شديدة ولاريب أن الذي يحمي السواحل المصرية ويمنعها من حصارهم ويحول دون رسوهم في أي جهة كما يرومون ودون انزالهم الجنود ، أنما هو الأسطول المصري ولامراء أنهم يخشونه فلستم دولتكم في حاجة الي من يعلمكم بل أنتم أعلم من كل أحد بوجوب اعداد الأسطول المصري في أقرب وقت عاريا من كل زينة وزخرفة مكتفين بالأعمال البخارية واخراجه الى عرض البحر ، ولا يخفي على دولتكم أن ذلك من أهم الأمور لذلك نرجو من همم دولتكم أن تعدوا القباق الثالثة[9] في أقرب وقت دون أن تفوتكم دقيقة واحدة نظرا لما تقتضيه الأحوال مهما أمكنكم علي أن لاتنشأ فيها غرف بل تنجز أعمالها طبق أصول عبدكم الحاج عمر[10] فتخرج الى البحر ، وان لاتوقف كل سفينة أعدت وتم بناؤها في ميناء الاسكندرية بل تخرج الى رحبة الاسكندرية فتقوم بالتدريب والتعليم ويؤخذ من أحوال والي الشام والضائقة التي يعانيها بأن أخذ الألفين وخمسمائه اردب الشعير المجموع في قلعة مزيرب[11] ومجموع البرغل الموجود بها لنفقات الحج ونقلها الى الشام وصرفها فيها بسبب القحط الذي أصابها ، ونظرا لأن المبالغ المعنية المرصودة لأجل الاتفاق نقدا قد نقصها أربعة الاف كيس ، ونظرا لعدم مبالاته واهتمامه بذلك يؤخذ من كل ذلك أن الحجاج المسلمين ليسوا بعابري طريق الشام في هذه السنة المباركة فهل تؤذن الى الحجاج المسلمين بأن يسافروا عن طريق مصر أي أن نكون نحن قدوة في الاعلان بانهم ليسوا مسافرين عن طريق الشام ، فهذا أمر منوط باقرار ارادتكم السامية ، ولما كان كلا من آلايي المشاه المرابطين بجزيرة كريت مدربا أحسن تدريب فاني اظن أنه يحسن لو أعيد الى الاسكندرية فيعسكرا بها وبأبوقير ولاسيما الألاي الثاني الذي يعادل

٩ـ بارجة كبيرة دخلت البحرية المصرية في أيام سبريزي .

١٠ـ من أهالي الاسكندرية . كان مهندسا بارعا في فن بناء السفن كما كان صاحب ادارة ومعرفة في فنون البحر للتفاصيل انظر : الرافعي المرجع السابق ص ٢٤٩.

١١ـ تقع المزيريب شرقي بحيرة طبرية .

آلايين . ومن أجل هذا يفضل أن يرجعا الي مصر ويرابطا بها . ويقول عبدكم عثمان بك (١٢) أن في مستطاع ولدكم مصطفي باشا أن يديرالجزيرة المذكورة مع الآلاي الحادي عشر والجنود السكبانية (١٣) والفرسان الموجودين غفي معيته ويطمن انه اذا وضعت على هذه الصورة عشرة بلوكات من جنود الجمهادية ، وبلوك البلطجية (١٤) في قلعة حانيا وسته بلوكات في قلعة رسسو وارطتان في قلعة قندية ووزع الجنود الآخرون السكبانية والفرسان في خارج البلد بالنسب التي تقتضيها الأحوال واتبع ولدكم مصطفي باشا الحكمة والتدبير في اعماله فلا يخشي خلل على ادارة تلك البلاد . والأمر لحضرة من له الأمر عند اطلاع دولتكم علي ما قدمناه .

سلام علي ابراهيم

الخاتم

١٢- هو عثمان نور الدين أميرال الأسطول المصري .

١٣ـ السكبان تعني كلاب الصيد ، وكانت هذه اللفظة تطلق علي طوائف من الجنود غير النظاميين الشناوي : المرجع السابق جـ ٢ ، ص ٧٤٠.

١٤ـ فرقة عسكرية تعني قاطعي الأشجار ، أما عن كلمة بلطجي فهي شائعة الاستعمال في الوقت الحاضر وتعني الشخص المنحرف ذا القوة العضلية الذي لايكترث بالخروج علي القانون في سبيل تحقيق اهدافه . للتفاصيل انظر : د. عبدالعزيز الشناوي : المرجع السابق ، الجزء الاول القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٨٠ ص٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

ـ يستخلص من هذه الوثيقة :

انه في محاولة لتسوية النزاع بين الدولة العلية ومحمد علي بشأن عكا اقترح ابراهيم علي والده انه طالما ان الهدف من حرب عكا هو عزل واليها عبدالله باشا والمحافظة علي أمجاد مصر في ظل السلطنة العثمانية فانه يري أن تعيين والي جديد من قبل الدولة العثمانية علي عكا يكون حائزا لثقة محمد علي سيكون فيه حل للمشكلة . وحذر ابراهيم من مراوغة الدولة العثمانية في المفاوضات بهدف اطالتها حتي تعيد حساباتها العسكرية ، وتتمكن من ايقاف تقدم الجيش المصري كما حذر العثمانيين من اللجوء الي القوة مهددا لهم بسوء العاقبة . وناشد ابراهيم والده الاهتمام بالاسطول المصري ، وسحب بعض القوات المرابطة في كريت للمساعدة في حروب الشام .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : فرمان [1] من السلطان العثماني محمود الثاني باسناد منصب السر عسكر لبلاد الشام الي محمد علي باشا فى نظير إعداده العدة لطرد محمد على من بلاد الشام .

تاريخ الوثيقة : آخر شوال ١٢٤٧هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٢ ترجمة الوثيقة رقم ١٦٠ .

«فرمان سلطاني الى محمد علي باشا والي حلب ورقه وسرعسكر بر الشام » « الدستور المكرم ، نظام شئون العالم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب ، ممهد بنيان الدولة والأقبال مشيد أركان السعادة والاجلال ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلي والي حلب ورقة الحالي وسر عسكر سواحل بر الشام وسائر بلاد العرب[2] أدام الله تعالي اجلاله .

اعلم اذا بلغك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني [3] أني لما أسندت الى عهده لباقتكم ولاية حلب مع منصب السر عسكر لبلاد الشام احساناهمايونيا مني وأصدرت فى ذلك أمرا شريفا وأرسلته اليكم ذكرت فيه مفصلا وموضحا أن سوق الجنود من مصر على عكا يخالف رضاءنا السلطاني من كل وجه فكتب كتاب من لدن قائمقامي [4] يتضمن النصح والتذكر منعا لسفك

١ـ الفرمان هو الأمر السلطاني الصادر عن الديوان الهمايوني في الاستانة .

٢ـ يقصد بلاد الشام .

٣ـ التوقيع الهمايوني هو العلامة الملكية التي توضع على الفرمانات ، علما بأن لفظة همايون فارسية الاصل ومعناها اللغوي مبارك أو حسن الحظ أو مقدس . انظر :

Gibb, Hamilton and Harold Bowen: Islamic Society and the West Vol.I,Part 1, P.47 .

٤ – قائمقام لقب اصطلاحي يطلق فى العادة على من يقوم مقام واحد أثناء غيابه .

الدماء بين الفريقين واتقاء اقلاق الرعية وازعاجهم كما أوفد أحد رجال الدولة العلية الي مصر لهذا الغرض . وقد راعينا مع ذلك لوازم الحزم والاحتياط فأعددنا معدات قوية برا وبحرا ، وابتغينا مهمات كلية لكي تنفذ فيه حكم الفتوي الشريفة التي صدرت فيه اذا هو لم يرجع عن طريق غيه وبغيه ولم يسحب جنوده متبعا فى ذلك التسويلات الشيطانية فجندنا جنودا من جميع انحاء الاناضول والروم ايلي [٥] والبوسنة وبلاد الأرناؤوط والآستانة وأنشأنا آلايات وجعلناهم تحت امرتك وأرسلناهم مع الوزراء الذين انتدبوا لقيادتهم والرجال الميرميرانية وسائر المأمورين وطفقنا نرتقب النبأ الذي يأتي من مصر فجاءت منه عريضة قبل أيام سرد فيها اعذارا واهية ومطالب فاسدة فأجبناه بأن اجابه مطالبة أمر محال بل فوق المحال وانذرناه وخامة العاقبة مرة أخري وأردنا أن نوقظه ونذكره . ولكن لم يأت منه رد حتي الان كما أنه قد أظهر بدلالة القرائن الحالية أنه سيظل مكبا على الفساد الذي ألقاه ومصرا على مخالفته وطغواه ، لنضرب عن كل هذا صفحا فانه قد حال بين الحجاج الموحدين الذين هم مفاخر الاسلام وبين سفرهم وقدومهم فى هذه السنة المباركة فأظهر مبالغته فى القيام بأعمال البغي والطغيان ، ولم يقدر النعم التي نالها فى ظل شوكتنا الشاهانية ولاشكر مساعدتنا السلطانية فكان اجتساره آخر الأمر على اقتراف الأفعال التي لم يسبق لها مثيل قط من الأمور التي لاتقبل التأويل ولا التفسير . ولئن لم يدخل بعد ذلك في دائرة الطاعة والانقيادخولا حقيقيا ومن صميم قلبه ولم يسحب جنوده المخذولين الي حيث أتي بهم لأرينه قوة سلطنتي القاهرة كما هو مفروض على ذمتي الشاهنية لذلك كان مما اقتضته ارادتي الملكية أن يسير المأمورون من ثورهم هذا برا وبحرا بسير سريع فينفذوا ما أمروا به . فأرسلت أوامر عليه شاهانية الي كل من المأمورين فردا فردا بموجب خطي الهمايوني المقرون بالمهابه الذي زاد صحيفة الصدور والسفوح شرقا فاذا أحطت بما تقدم تفصيله أنت ايها السرعسكر المشار اليه فأعلم أنك لما كنت مشمولا بعطفتنا

١- تعنى ولايات الروم وتكتب أحيانا الروميلي .

واعجابنا من بين وزرائي العظام المحمودي السيرة ووكلائي الفخام المرضي الاثر لما اتصفت به من كمال الغيرة والشجاعة وماعرفت به من حسن الروية والالمام بتصريف الأمور وماشهد لك به حتي الآن من المهمة والصداقة فقد نصبتك سلطنتي السنيه سر عسكر مستقلا لخطة بلاد الشام باستقلال تام وترخيص كامل على أن يكون لك الخيرة فى الاحسان الي الذين يجاهدون معكم ويخدمون بالصداقة فى تصريف كافة الأمور التي تختص بمنصب السر عسكرية الخطير ولا سيما فى أموركم ، وفى تأديب الذين يجرأون على العمل بما يخالف الرضاء وتنكيلهم كائنين من كانوا ، وفي منحكم من ترونه استحق رتبة من رتب باب دولتي العلية بالخدمة والصداقة الرتبة التي استحقها وابلاغ أمره باب سعادتي كتابة مبينين أسماءهم والقابهم لكي تصدر المراسيم اللازم اصدارها وترسلها اليكم ،وقصاري القول فيما يتعلق ببلاد الشام من عزل ونصب ونفي وتأديب وترقية فيكون كل من شكرك وشكايتك مثمرا لدي مقامنا الشاهاني ، ولايغرب عن ذاتك الصادقة أنك بمآثر أوصافك الحميدة مشمول بحسن توجيهاتي الشاهنية وبوثوق واعتماد واعتقاد من لدن ذاتي السلطانية . واعلم لأن تقوية نفوذك من وجه وشد عضدك اظهار لمقدرتك أمر ملتزم لدي ذاتنا الملكية فأرجو منك وانتظر ان تظهر صداقتك وغيرتك فى هذا الشأن وغيره من الشئون بمقتضي جوهرة لياقتك المكنونة فى ذاتك وما اتصفت به من الشجاعة والدراية فاذا أوصل اليكم امري الشريف فعليكم أن تصبحوا الوزراء والميرميراتية وسائر الموظفين لمعيتكم فتبذلوا همتكم وجهودكم فى هزم جنود مصر الموجودين من حلب لغاية طرابلس وحول عكاء .وقد صدر فرماني السامي متضمنا تأكيد انتدابكم واستقلالكم . فأمرك أن تعمل بمضمون هذا الفرمان الواجب الاتباع والامتثال الذي صدر على الوجه الذي تقدم عندما يصل اليك وأن تعتمد على العلامة الشريفة » .

تحريرا فى أواخر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين والف .

طبق أصله العالي الفقير اليه عز شأنه كيلاني زاده السيد شرف الدين المولي خلافه بحماه عفي عنه .

قائمقام القسطنطينية المحروسة

وثيقة رقم (٥)

موضوع الوثيقة : فتوي فحواها أن من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة ومن يموت من عساكر محد علي يدخل النار .

تاريخها : بدون

مصدرها : محافظ عابدين. محفظة رقم ٢٣٥ صورة المرفق العربي للوثيقة ١٤٠.

« ما قول الأعلام عفي عنهم الملك السلام »

فى خارجي خرج عن طاعة الامام السلطان الأعظم وجمع له أقواما كثيرة وخرج من موضعه يريد سبي أبناء الاسلام وسفك دمائهم واستباحه أموالهم وأعراضهم وجهز عدة الحرب والقتال للاسلام ، وصدر الأمر الملوكي الخاقاني بالتفير العام لرده وزجره وردعه عما هو عليه فهل يجب على الخاص والعام من كافة ديار الاسلام قتاله ورده وردعه عما هو عليه قاصدله ، وهل اذا هلك أحد منهم يكون الى النار واذا مات أحد من أبناء الاسلام الرادين له فى الجهاد يكون شهيدا ومثواه دار النعيم أفيدوا بالجواب ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب .

الحمد لله والصلاة والسلام على من لانبي بعده

حيث الحال كما هو مقرر فى السؤال ، وصدر الأمر الملوكي بالنفير العام لقتال هذا الباغي الخارج عن طاعة الامام يجب على كل مسلم قتاله ومن كان موافقا له فيما قصد ، وان مات أحد من المجاهدين يكون فى الجنة ولا كلام واذا هلك أحد منهم ومن وافقه على مايريد فى النار دار الجحيم والله أعلم » .

الفقير اليه عز شأنه

الشيخ محمد افندي الشافعي عفي عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد محمد أفندي المغربي الحسبي

المالكي عفي عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد الحاج محمود أبو الهدي

قاضي عكا عفا عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد سعد ابو الهدي الناجي

مفتي عكا عفي عنه

يستخلص من هذه الوثيقة :

ان علماء عكا استندوا في فتواهم بدخول من يموت من مدافعيهم الجنة ودخول من يموت من قوات محمد علي النار على أن السلطان كان قد أعلن خيانة محمد علي للدولة ، ومروقه على دين الله وعزله .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : محاولات محمد علي رفع روح قواته المعنوية .

تاريخها : ٢٢ذي الحجة ١٢٤٧هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٤. ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦.

من ابراهيم يكن

الي الجناب العالي

أتشرف بعرض مايلي على مولاي

بمجرد أن تسلمت أمر مولاي القاضي بجمع الميرلوا ات والميرلايات والقائمقامين والبكباشية الموجودين معي وتلاوة هذا الأمر الكريم عليهم لتبليغهم تحيات مولاي الكريمة اليهم وآماله الكبيرة التي ينتظر أن تتحقق فيهم من اظهار الشجاعة وبذل التضحية عند الزحف الذي سيبدأ فيه في القريب حتي يكونوا بعد تبليغهم هذه التحيات والاوامر الكريمة عند حسن ظن مولاي فيهم ويبرهنوا على انهم شجعان وبل حقيقة قد جمعتهم كلهم وفتحت الأمر أمامهم وتلوته عليهم فلما انتهيت من التلاوة قالوا كلهم نحن عبيد سيد واحد وزهرة دوحة كريمة واحدة كذلك ومستعدون لتضحية انفسنا بكل سرور في سبيل مولانا ولي النعم لا في هذا الوقت فحسب بل في كل الاوقات ثم ابتهلوا الي الله تعالي باطالة بقاء مولاي ولي النعم ودوام عزه المجيد فكتبت بناء على ذلك هذه الافادة حتي يحيط علم مولاي علما وعلي كل فالامر له في كل الاحوال .

يستخلص من هذه الوثيقة مايلي :

- محاولات محمد علي شحذ همم الضباط والجنود المهاجمين لعكا بارسال تحياته اليهم ومطالبته لهم باظهار الشجاعة وبذل التضحية .
- اعراب الضباط والجنود عن استعدادهم للتضحية بأنفسهم في خدمته .

وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة : فزع الدولة العثمانية بسبب سقوط عكا .

تاريخها : محرم ١٢٤٨هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨.

ترجمة الكتاب الرومي العبارة [١] الوارد من الخواجة توسيجه باسطنبول فى اثني عشر يوما فى ليله أول أمس ، وصل الى هنا رسميا نبأ الاستيلاء على قلعة عكا فاحدث هزة عنيفة لدي الدوائر الحكومية شملها يأس وحزن شديدان فدعي القبو كتخدا لمجيب افندي الى الباب العالي وقلد نيشانا واحدا وصدر اليه الأمر بأن يسافر مع الجيش ويلحق بالسر عسكر حسين باشا[٢] وليس يعلم أحد الأمر الذي دعي من أجله لمجيب افندي ولم يكن ينتظر أحدا فتح قلعة عكا فورود خبر الاستيلاء عليها الآن أقلق بال الدولة العلية اقلاقا حقيقيا بالغا للغاية . ولم يعامل تابع لمجيب افندي القادم من مصر الي اسطنبول حاملا المكاتبات بأي معاملة فترك علي حاله . هذا وقد ذهبت اليوم الي الترسانة لبعض شأني ، ولم أر فيها أثرا من العناية والنشاط اللذين كانا يسودانها قبل خمسة أيام لاعداد السفن المتأخرة واخراجها الى البحر بسرعة والذي يبدو من القرائن الحالية أنه صدر أمر بالعدول عن اعداد السفن والرأي السائد بين الجمهور أن أسطول اسطنبول لايريد أن يكون عاملا لاثارة الحرب ، ولكن داخلهم خوف بالغ من جراء سفن النار الجارية الانشاء هناك متسائلين عن الغاية المنشودة من انشاء هذه السفن .

١- يقصد به المكتوب باللغة التركية ، وكلمة الروم حسب المعني الشائع فى ذلك العصر يقصد بها الدولة العثمانية .

٢- من اعلام العسكريين العثمانيين ، وكان ذراع السلطان فى التخلص من الانكشارية وهب له السلطان ولاية مصر وكريت اذا استطاع هزيمة الجيش المصري ، ولكن البطولة التي ابداها رجال الجيش المصري والانتصارات التي حققوها قد حالت دون ذلك .

للتفاصيل انظر الرافعي : المرجع السابق صص ٢٦٠ - ٢٦١ .

وأيضا : الشناوي المرجع السابق جـ ١ ص ٥٢٢ .

وفى ظني أن الدولة العلية ستعرض للصلح عما قريب ، ولسبب عرض الصلح من جانبها يلاحظ ان الجانب المصري يقابل هذا العرض بالاباء ويظهر شيئا من الدلال . والأنباء التي تصل الينا من الأناضول تفيد أن العساكر المجتمعة فيه تعاني أزمة شديدة فى المؤن والمهمات وبقية اللوازم وفى النقود بصفة خاصة اذ لم يصرف للجيش منذ سافر من هنا إلي الان الا مبلغ ثلاثة الآف كيسه . ويشعر خسرو باشا فى هذه الايام بخوف شديد فالوقت الحالي أنحس الاوقات بالنسبة له فان له عدوا هائلا وبناء على هذا السبب لايغيب عن حضره السلطان دقيقة واحدة .

يستخلص من هذه الوثيقة :

مدى الهلع والفزع الذى أصاب العثمانيين نتيجة لسقوط عكا .

وثيقة رقم (٨)

موضوع الوثيقة : رغبة محمد علي فى استغلال فتح عكا بالتقدم نحو باقي المدن الشامية .

تاريخها : ٩ محرم ١٢٤٨هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم٦٤.

من ابراهيم باشا الى محمد على

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي بدون من

فى اليوم الثامن من شهر محرم الحرام سنه ١٢٤٨ تلقيت بيد التعظيم أمريكم الساميين الصادرين بتاريخ ٤ منه وفيهما أن فتح عكا قد القي بالطبع الرعب والدهشة فى قلوب الأعداء القاسية وانه يجب انتهاز هذه الفرصة عملا بالمثل القائل « يطرق الحديد في قوامه من الحرارة [1] فيتحرك خلال هذه الايام القليلة الى الميادين التي يربط فيها مخالفونا ويعني بقهرهم والتنكيل بهم وصدهم الى حد حلب وانه اذا كان حسين باشا وصل الى حلب فلا يستطيع تموين جيشه الا عدة شهور يكون الموسم الحالي وقت حصاد المحصول وبعد ذلك يعتريهم الملل والسآمة كما هي عادة امتنا من القديم يتبع هذه السآمة الضعف والاضطراب وسوء الحالة واذا كان الأمر كذلك فينظم الان لوازم عكا ثم يلتحق مع جميع الجنود الى الجيش المنصور المعسكر فى زحلة وبعلبك وطرابلس وبعد قضاء ثلاثه اشهر فى تلك الجهات يهجم عليهم . وأما الأستيلاء على دمشق لأنها عاصمة القطر فيؤدي سقوطها أولا الى سقوط الجهات التابعة لها ولأن الكافي من الجمال اللازمة لنقل الجيش لايمكن الحصول عليه قبل الاستيلاء عليها . فقد احيل ذلك الي رأيي بسبب وجودي هنا ومعرفتي وماتقتضيه الظروف.

١- مثل تركي نصه « تيمورتا ونه دوكولور» ويترجم كما يأتي أيضا : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من الحرارة . المترجم .

مولاي .. لما كنت قد وصلت الي سهل عكا عسكرت فيه مع الجيش أوفد وجوه الشام رسلهم لتقديم الولاء والاخلاص فكانت أقوالهم تعرب عن شعورهم بالغبطة والفخر بالعبودية لجنابكم واقترحت عليهم ايفاد خادمكم عباس باشا الي هناك فالتمسوا ارجاءه الي ما بعد حل مشكلة عكا ولما فرغنا من أمر عكا بتوفيق الله تعالي واستشرتهم فى الزحف هناك أولا قبل القيام بأي عمل آخر فعاد الساعي المرسل اليهم حاملا كتبهم فى هذا الصدد واني ارسلتها الى اعتابكم بالبريد الذي قام مساء فستتفضلون وتعلمون منها أن الشاميين متلونون ثم انهم يجمعون الى تلونهم بالالوان العديدة التى ظهروا بها حتي الان الأشادة بالطرف الذي يرون القوة والانتصار فى جانبه لذلك أري أنه لو عدل عن فكرة الاستيلاء على الشام (دمشق) وزحف إلي حد حلب فيلاحظ عليه اولا ان الزحف يقع فى أشهر يونيه ، يوليه واغسطس وهي الاشهر التي يشتد فيها الحر وتنهك قوي الطرف الذي يتجشم فيها السفر وثانيا اذا قيل فليزحف فى كمية كبيرة من العتاد والآلات الحربية يرد على هذا القول بأنه لايمكن القيام وفقا للمطلوب بسبب قلة الدواب وعليه فاذا قمنا من هنا قاصدا بعلبك ومنها الي حمص فى عدد كاف من الجنود نطرد الباشوات المرابطة فيها ثم عدنا الى بعلبك بعد طردهم واقمنا بها مشغولين بتدريب الجنود علي الاعمال الحربية منتظرين وصول السردار المشار اليه ـ واقرب الاحتمال عندي أن الذين ينتظرون ردهم من اسطنبول انما يأتون من طرابلس لأنها فى ساحل البحر وفيها مناطق عمرانية بخلاف حمص فليس فيها شئ مما ذكر ـ حتي اذا وصلوا من حيث ننتظر سرنا لمقابلتهم ، فلا نأمن من حينئذ وقوع الفتنة فى مؤخرتنا لما نعهد فى الشاميين وواليهم من خلة التلون واثارة الفتن .ولهذا كله يتراءي لي أن الصواب أن أزحف أولا الى الشام (دمشق) حتي اذا فرغت من أمرها وصلت الى بعلبك ومنها اقصد الى حمص فى عدد كاف من الجنود لطرد الباشوات المرابطة فيها وبعد ذلك أعود الى بعلبك واقيم بها مشغولا بتدريب الجنود ومنتظرا وصول العساكر التي ستصل من الأناضول كما سبق شرحه .

ثم انـي لو عقـدت هنـا اجتماعا مـن القـواد الموجوديـن فى جيشكم المنصـور لاشـاورهـم

فـي هذا الصـدد لقـالوا بلسـان واحد « سكر ا سكرا » مثل الببغاء (يقصد الموافقة) يؤيدني في الرأي السالف البيان خادمكم الامير بشير الواقف على شؤون هذه الجهات المتصف في ذاته بالدراية وادراك الحقائق . هذا ولما كانت وديان بعلبك والبقاع معمورة فلا نعاني الضيـق في التموين ففي إمكاننا شراء المؤون بالمال اذا اقتضي الامر ذلك فيمكن تموين جيشكم المنصـور في هذه الجهات مدة الانتظار وبعد خلال هذه المدة الفرسان المرسلة مع خادمكم السلحدار أغا وسأرسلهم مع عرب (انزه)[1] الى حد حلب ليقوموا بغارات عليهم فلا أذيقهم طعم الراحة خلال الاشهر الثلاثه المارة الذكر ايضا بفضل همتكم القاهرة .

وبناء على الملاحظات المسروده قررت القيام الى الشام (دمشق) بأذن الله تعالي في يوم السبت الموافق الحادي عشر من الشهر الجاري المبارك كما عرض قبل يومين . واذا تفضل مولاي وعلم ذلك سألته أن يشملني بعطفه القلبي الذي احتاج اليه باستمرار .

١- لعله يقصد عنزه .

يستخلص من هذا الوثيقة مايلي :

- رغبة محمد على في استغلال الاضطراب والفزع الذي حاق بالعثمانيين نتيجة لاستيلاء قواته على عكا بالتحرك نحو باقي المدن الشامية والاستيلاء عليها .
- استجابة ابراهيم باشا لرأي والده وقيامه بالزحف على دمشق .

الملحق اثالث

وثائق خاصة بحروب الشام

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : أهمية الانتهاء من مسألة عكا، مع تأمين السواحل المصرية ضد أي هجوم بحري عثماني، وتأمين طرابلس (الشام) ضد الهجوم البري العثماني المتوقع.

تاريخها : ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ[١].

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم٧٧

من : سمو إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالي.

هذا ما يبديه عبدكم،

تلقيت أمركم الكريم الصادر في ٢١ رمضان سنة ١٢٤٧ وعلمت منه أنكم اطلعتم علي ترجمة كتاب عبدكم مصطفي أغا البربر[٢] فعلمتم منه أن عثمان باشا[٣] قد وصل اللاذقية وذكرتم أن دولتكم تتوقعون حدوث مضرات عديدة تترتب علي قدوم الباشا المشار إليه تلك الديار فأمرتم بالزحف عليه وتنكيله أما بنفسي وأما بانتداب أحد عبيدكم القواد وحتي نطرد الأغيار[٤] من الديار الداخلة في حمايتكم الخديوية وتشتيت شملهم. مولاي، لقد كنت أبلغت أعتاب دولتكم المباركة في هذا الشأن قبل هذا أن اللاذقية بلد مكشوف غير محصن يقع من

١- الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م.

٢- حاكم طرابلس من قبل محمد علي.

٣- هو عثمان باشا اللبيب، عينه الباب العالي والياً علي طرابلس وأرسل معه ٢٠ ألف مقاتل، ليكونوا طليعة القوات العثمانية المكلفة بطرد محمد علي من بلاد الشام.

٤- هكذا في الأصل وصحتها المغيرين .

ههنا علي مسيرة عشرة أيام في حين أنها تقرب من حلب مسافة مرحلتين، ومرحلتين ونصف مرحلة أو ثلاث مراحل علي الأكثر، فئن زحفنا علي اللاذقية ثم عدنا إلي هذة الديار بعد أن نهزم المشار إليه لدخلها جنود من حلب قبل أن نبلغ هذه الديار، ولو لم نعد وأردنا المقام هناك لما أمكننا ذلك لسبب الذخيرة ولمناسبة حصار عكاء الحالي، ولو شئنا أن نترك عدداً من الجنود كان ذلك عملاً غير صالح إذ أنه لا ينبغي أن يُترك الجنود في مثل هذا البلد غير المحصن مهملين بدون ذخيرة، من أجل ذلك قد اتخذنا التدبير الآتي لحفظ هذه الجهات وحراستها بعد تفكير وتشاور، وهو أن حدود محافظة هذه الولاية هي قلعة طرابلس من جهة الشمال، وهي تقع علي ساحل مستو من ينبوع جار وراء (الممر) الواقع في سفح جبل الدروز الذي يظهر مظهر الاتصال بتلك القلعة. ولا يوجد في سلسلة جبال الدروز الممتدة من شمال هذه القلعة نحو الشرق ثم إلي جهة القبلة[1] شئ من (الممرات) حتي تبلغ حذاء صيداء أي ليس فيها (.........)[2] ولكن هناك جسران (أي كوبريان) يقعان بين منبع نهر بوردان الذي هو التخوم الشرقية لولاية صيداء وبين القدس الشريف وحماه وهما بنات يعقوب وجسر المجامعة[3] ولقد سمعت من قبل أنه لا يمكن سوق المدافع والمهمات في أيام الشتاء إلا عن طريق هذين الجسرين وأن النهر المذكور يمكن عبوره صيفاً من عدة مواضع فانتدبت خبراء ليقوموا بالكشف والمعاينة علي طول الساحل من ههنا وعلي طول سفح جبل الدروز الواقع في داخلية البلاد فاستطلعوا أحوال الطرق والبلاد وكان بقي هذا النهر والأرض الواقعة علي طوله فانتدبنا عبدكم المهندس قاسم أغا قبل يومين وكلفناه كشفهما واستطلاعهما وآتيناه

١- أي من الجهة القبلية أي جنوبًا بشرق .

٢- بياض في الأصل لعلها (معابر أو ممرات) .

٣- أو جسر المجامع .

خريتين[١] (أدلاء) خبراء حتي إذا أتم كشف تلك الجهات كشفاً لايقا[٢] في بضع أيام وعاد فإذا علم من درسه هذا أن النهر المذكور يسمح بالعبور تحصنه إذا بإحداثنا موانع إصطناعية بتطبيق الأساليب البديعة الحربية باتخاذ حصون وخنادق أو وسائل أخري، فإذا تم هذا استطاع خمسون رجلاً أن يقفوا في وجوه مائة وخمسين ألف جندي ويقاوموهم ويصدوهم لكون طريق طرابلس وعرة جداً وإذا ظهر أن لهذا النهر مواضع تصلح للعبور فسنحدث للجسور (الكباري) والمعابر استحكامات كرؤوس الجسور، ولما كنا عاملين علي تحصين طرابلس وصيداء وبيروت وصور من جهة البحر كما أننا سنحصن حيفاء ولما كانت البلدة الواقعة بين هذه الحدود محفوظة محكمة كأنها قلعة أنشئت جدرانها من الحديد فلن نكون في حاجة إلي إرهاق جنودنا بسوقهم هنا وهناك، نستمر علي ضرب هذه القلعة من جهة ونكون متأهبين مستعدين ومعنا الجنود الجهاديون أولو البأس والنشاط علي مختلف أنواعهم، من ناحية أخري.

ولو فرضنا أن العدو قد اقترب من طرابلس فإن في طرابلس الآن أربع ارط[٣] وخمسة بلوكات من المشاة وبلوكاً واحداً من مدفعية الجهادية وجنوداً درزيين ونابلسيين مع عبيدكم الأمر خليل[٤] والشيخ حسين الهادي[٥] وأخيه يتراوح عددهم بين الألف وخمس المائة وبين الألف وثماني المائة كما أننا كتبنا إلي عبدكم مصطفي أغا أن جند صفوة من يستطيعون حمل السلاح من أهل البلد ولسوف يجند هو أيضاً بضع مئات من العسكر. ولقد خصصنا آلات

١- ١الخريت هو الدليل الحاذق بالدلالة علي الطريق. انظر، مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢- هكذا في الأصل ولعلها (لائقاً).

٣- جمع أورطة ، ولعلها (أورط) .

٤- إبن الأمير بشير الشهابي.

٥- هو الشيخ حسين عبد الهادي، حاكم نابلس ، وكان مواليا لمحمد علي.

نارية من مدافع التلمبرنة والأبوس والجرخة[1] وسنرسل إلي طرابلس عن طريق البحر مقداراً آخر من الفشنكات والبارود وقذائف المدافع في أيام معدودة. وقصاري القول أنه لما كان لدينا قوة عظيمة بطرابلس فلو فرضنا أن العدو أتوا علي طرابلس فإن الجنود الذين بها لمقتدرون علي لقيانهم وعلي الدفاع عنها. ولو فرض أنهم لا يستطيعون تبديد شمل العدو فان دأبوا ولو علي صيانة القلعة وحفظها فيمل العدو ويسأموا من طول المقام مقيدين بقيود الحصار ونستطيع إذا أن نفنيهم علي بكرة أبيهم[2] زاحفين عليهم بإتباع الطريق الواقع علي سفح جبال الدروز الشرقي أو بسلوك هذا الطريق والطريق الواقع علي طول ساحل البحر ، لنضرب مثلا أن والي حلب زحف علي جسر بنات يعقوب عن طريق حماه وحمص وعثمان باشا معسكر عند طرابلس وزحف والي الشام المؤقت علي جسر المجامع أوسارا[3] جميعاً علي أحد هذين الجسرين فقد علمنا من التجارب التي قمنا بها خاصة في كم ساعة يستطيع العسكر أن يقوموا من هنا ويبلغوا كلا من الجسرين المذكورين أو يصلو إلي طرابلس ، فنحن مطمئنون من جهة حراسة طرابلس اذ نعلم يقيناً إنها تستطيع المقاومة نحو ثلاثين يوماً . وقد رأينا بعد تفكير ومشاورة انه يمكن الزحف علي العدو المفروض ظهورهم من جهة الشرق وتمزيقهم ثم مطاردتهم لغاية حماه وحمص وتشتيتهم جميعاً وتمزيقهم كل ممزق كما يمكن الزحف عن طريق حمص علي الأعداء المفروض قيامهم بحصار طرابلس وتطويقهم من ورائهم ومن أحد جانبيهم وإهلاكم جميعاً وأننا نستطيع مقاومة الأسطول العثماني من جانب البر لو جاء خلسة وألقي مراسيه أمام حيفاء وصور وصيداء وبيروت وطرابلس ، أي أننا لاحظنا بالتدبر وأخذ الحيطة في أشد المصاعب التي تواجهنا في هذه الأمور واتخذنا التدابير وأعددنا وسائل مقابلتها . من

١- التلمبرنة والأبوس والجرخة أو الشرخة : أنواع من المدافع .

٢- هكذا فى الأصل ولعلها)عن بكرة أبيهم) .

٣- هكذا فى الأصل لعلها (ساروا) .

أجل ذلك قد استحسنا الآن أن تستمر ونقدم علي الحصار الذي نحن ضاربوه وأن نستحوذ علي الجنود ونجعلهم مستعدين ولانرهقهم بدون جدوي وأن نترصد ونرقب كل فرصة فالتزمنا هذه الخطة وقررنا ، إذا زحفوا علينا عن طريق البر ، أن نهزمهم ثم لا ندعهم بل نتبع ادبارهم ونقتفيهم حتي نبلغ داخلية الأناضول فليطمئن قلبكم ولا يضيقن من هذا الخصوص ولا تدعوا للحزن والقلق سبيلاً إلي صدر دولتكم وهذا ما نرجوه من لطفكم وكرمكم ، ولما كان من لوازم الحال بهذه الملابسة (.....)[1] أسباب حراسة السواحل المصرية نفسها كما ينبغي ، فيجب وضع إشارات سريعاً وعاجلاً بين الإسكندرية ودمياط عن طريق برلس وكذلك بين الاسكندرية وبرج العرب والاطلاع علي أحوال تلك الديار في بضع دقائق بإعانة[2] هذه الاشارات واتخاذ التدابير اللازمة بموجب هذا الاطلاع ، وقد كانت أعدت مثل هذه الإشارات وندب لها موظفون من قبل فلم يبق إلا إنشاء قواعد لها وتركيب الإشارات عليها وتشغيلها باستخدام موظفيها . فإن لم يكن والحالة هذه انشاء قواعد لهذه الاشارات فينبغي ركز العدد الكافي من السواري الطويلة في المواضع اللازمة واستعمال الاشارات البحرية ويجب أن يعطي كل من الجنود المشاة الذين يتندبون لحراسة السواحل المصرية كيس مترس [3] وجاروف . فإن هم العدو فرضا بإنزال جنوده إلي البرفليجتنب جنودنا الجهاديون التجمع والمرابطة علي ساحل البحر مصطفين وليأخذوا حذرهم وليقفوا علي بعد قليل من شاطئ البحر وليملأوا تلك الأكياس وليضعوا بعضها فوق بعض وليحضروا ما وراءها فيقذفوا الرمل أو التراب إلي جهتها الأمامية ويحدثوا بذلك مترس علي جناح السرعة وليقفوا وراء هذا المترس وليقوموا بأمر الدفاع ومما

١- بياض في الأصل ، ولعلها (تهيئة) .

٢- هكذا في الأصل ، ولعلها (بمعاونة) .

٣- هكذا في الأصل ، وصححتها (كيس متراس) ، والمتراس ما يوضع في طريق العدو لعرقلته ، جمعها متاريس . أنظر : المعجم الوجيز .

ينبغي أن يعمل ان نطلق المدافع الموجودة هناك علي صنادل العدو وشالوباتهم (سفائن صغيرة ذوات ساريتين كما في القاموس التركي Chaloup) قذائفها فحسب . ثم قذائف وصالقما (عناقيد) كلما دنت من الساحل وان تقذف هذه الطلقات في صمت بليغ[١] . حتي إذا اقتربوا من مرمي الرصاص جد الجنود في الدفاع باطلاق المدافع ورصاص البنادق من وراء المترس في وقت واحد . وإذا رؤي بادئ الأمر ان العدو أكثر عددا أي إذا شوهد أنهم سيخرجون كثيرا من الجنود إلي الموضع الذي يقل فيه جنودنا فليتخذوا من حولهم حصناً من فورهم في مكان موافق بإعانة الأكياس والحجارة التي لديهم وليبذلوا همهم في الحراسة والدفاع برسوخ وثبات حتي يصل إليهم المدد ويجب ان يوصي كبراؤهم في بادئ الأمر باجراء ذلك . ونأمل من همكم العالية أن تتكرموا بإيجاد عدد كافي من القوارب من نوعي (العقبة) و (الجريم)[٢]. بين العطف ورشيد وفي مياه برلس[٣] وفي بحر دمياط[٤] واعداد المهمات اللازمة لاتخاذها جسورا (كباري) علي النيل حذاء الطريق المشتركة يمر عليها الجنود والمهمات عند الحاجة أو تتخذ (معديات) علي الأقل . ومما ينبغي أن يعمل أن تنصبوا كولونيلا مدفعيا علي أرط المدفعية التي ستندب إلي الاسكندرية ودمياط وأن يلازمه أميرالاي المدفعية علي الدوام وأن تكرموا الكولونيل المذكور وتعطفوا عليه بمنحة النيشان والكسوة الخاصين بأميرالآلاي ، وإن تنشئوا بردا[٥] خيالة بين الاسكندرية ودمياط تسهيلا لنقل هؤلاء الرجال بسرعة إلي الجهات التي يبغون بلوغها كلما دعت الحاجة وإن تكشف وتستطلع جهات الاسكندرية وبرلس ودمياط

١- هكذا في الأصل ولعل صحتها (أن تقف هذه المدافع في صمت بليغ) .

٢- العقبة والجريم مراكب نيلية.

٣- المقصود بحيرة البرلس .

٤- هكذا في الأصل ولعل صحتها (نيل دمياط أو فرع دمياط) .

٥- هكذا في الأصل ولعلها (بريد) .

بإشراف الكولونيل الموماً إليه [١] فتعبد وتبوأ[٢] الطرق من أجل المدافع وأن تمد الشالويات الجارية في بحري رشيد ودمياط ويجب كذلك اعداد شالويتين أو أثنين من صنادل البحارة في بحيرة (إيت كوي)[٣] بان تكونا حاضرتين . ولقد فصل محمد باشا المقيم بالمنصورة وارسل إلي مصر إلا أنه رجل شجاع نشط في العمل . فإن تكونوا مرتابين منه فان ولدكم أحمد باشا مقيم برشيد فاستدعوه عند سموكم بالاسكندرية بعد أن تشملوه بعطفكم وعنايتكم بمنحه نياشين . وأما عبدكم أمير اللواء سليم بك المقيم بأبي قير فإنه رجل متصف بالغيرة والشجاعة وقد كنا قررنا مع كبار ضباط الجيش أن نقدم محضراً في التماس العفو عنه لو كنا قد انتهينا من قضاء(........)[٤]. الديار وهو جدير بأن يخرج بوسيلة ما من أبي قير فيشمل بعطف سموكم باستخدامه بعد أن يمنح النيشان والكسوة الخاصين بامارة اللواء لأنه لا يوجد الآن لديكم أمير لواء قدير ، ولقد كنت أبلغت أعتابكم السامية وجوب جلب الآلاي الثاني وحده من جزيرة كريت ولكن لما كان كلا الآلاين المرابطين بها قويا فأرسلوا سفن القرصنة[٥] الراسية بالاسكندرية لتأتي بالآلاي الثاني أولا ثم بالآلاي الحادي عشر فترسي وبسرعة ممكنة فتتركوا الآلاي الثاني بالاسكندرية وترسلوا الآلاي الحادي عشر إلي دمياط . فاذا جاء هؤلاء فارسلوا الآلاي التاسع عشر المرابط بالاسكندرية إلي برلس ونزلوا الآلاي الرابع عشر من الآن إلي الإسكندرية .

١- هكذا في الأصل ولعل صحتها (المومى إليه) .

٢- هكذا في الأصل ولعل صحتها (تمهد وتهيأ) .

٣- المقصود بحيرة إدكو .

٤- بياض في الأصل ولعله (مهمتنا بهذه) .

٥- لعل المقصود بها النقالات أو سفن نقل الجنود .

ولقد نزل آلايا فرسان إلي دمياط عملاً بالترتيب الذي تفضلتم باتخاذه كما انه سينزل آلايا الفرسان الآخران إلي العطف فاتركوا آلاي فرسان الترك المرابط بالصعيد في بني سويف ونزلوا آلاي الخيالة الآخر إلي طنطا وتكرموا بانشاء آلايات فرسان أخري بفرض ضريبة الخيالة كما اقترحنا علي سموكم من قبل ونرجوا أن ترسلوا نحو عشرة قناطير من قطران أرديج، أن كان يوجد منه عندكم ، لنستعمله في معالجة جربي الجنود الموجودين هنا وأن ترسلوا الذخائر ، غير القمح الذي وقف إرساله ، أكثر من القدر المخصص منها وأن ترسلوا خمسة ألاف قنطار من البقسماط اياً كانت الحبوب التي صنع منه لتصرف للجنود السيارة . وكل هذا منوط بإرادتكم السامية والأمر لمولاي .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- عندما قدمت قوات عثمانية إلي الشام ، أمر محمد علي ابنه بملاقاتها ، لكن إبراهيم باشا فضل الانتهاء من مسألة عكا أولاً ليتفرغ بعدها للقوات العثمانية .
- ومع هذا فقد أرسل الخبراء لرسم خطة لحماية المناطق المشمولة « بالحماية الخديوية » واتخذ خطوات جادة لتحصين سواحل الشام لتقف في وجه الأسطول العثماني .
- إهتمام إبراهيم باشا الأول كان بمصر وتأمينها ، ومن ثم فقد اقترح علي والده - بتفاصيل دقيقة - وسائل هذا التأمين .
- شكوي إبراهيم باشا المتكررة من تأخر الامدادات التي يطلبها من مصر ، وهي شكوي لا يبررها تقاعس محمد علي ، وإنما حماس ابنه إبراهيم .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : محاولة والي حلب استمالة أمراء الشام للتأثير علي موقف القوات المصرية .

تاريخها : (بدون تاريخ)[1].

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩ .

من : سمو إبراهيم باشا السر عسكر .

إلى : الجناب العالي.

هذا ما يرفعه عبدكم،

تلقيت أمركم الكريم الصادر في ٢٣ رمضان سنة ١٢٤٧ وقد جاء فيه أنكم اطلعتم علي التقرير العربي فعلمتم منه أن والي حلب ولي من لدنه متسلما[2] علي قضاء اللاذقية وأن أصحاب المقاطعات وفدوا عليه وأنكم ترون أن أمثال هذه الوقايع قد تؤدي إلي حدوث مضرات عديدة فيجب توبيخ أولئك الأهليين وأصحاب المقاطعات والتنكيل بهم ليكونوا عبرة لغيرهم فيا مولاي إن المسألة لا تنحصر في توليه متسلم علي اللاذقية إذ أن عثمان باشا أيضاً قد قدم اللاذقية وطرابلس جميعاً فاحضرهم عنده كما ستعلمون ذلك عند الاطلاع علي التقارير التي قدمت حتي الان إلي أعتاب دولتكم المباركة فكتب كتبا إلي أنحاء البلاد وأكنافها ودعا أصحاب مقاطعات قضاءي اللاذقية وطرابلس جميعاً فاحضرهم عنده كما أنه ولي متسلما علي نفس طرابلس إلا أنه لم يتمكن من إرساله وهو (عثمان باشا) مقيم الان باللاذقية وقد ساق جنوداً إلي جبله وطرطوس أي حتي قبل طرابلس بمرحلة واحدة . ولما كان هو من جبال (مسيري) أصلا فقد حرض تلك الديار أيضاً وأغراها واستمال مشايخها فقد وجب علينا أن

١- نرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة آخر رمضان ١٢٤٧هـ/ أول مارس سنة ١٨٣٢م.

٢- المتسلم هو الحاكم المدني وله سلطات واسعة.

تسير عليه من جهتنا (منهزمين)[١] هو وجنوده ونقتلهم حتي يكونوا عبرة لغيرهم إلا أنه لما لم تكن مصلحة عكا قد انتهت وأنه يرجي أن تتم بعد نحو ثمانية أيام فقد كتبنا إليه أن دولتكم قد رفعتم عريضة إلي الدولة العلية في شأن ولاية طرابلس واننا منتظرون ورود الأمر وأن لا تتعد المكان الذي تقيم فيه بل ارحل منه وتنح إلي جهة حلب ولا تتسبب في إشعال (ثائرة)[٢] الحرب . وقد اذعن فلم يجاوز اللاذقية إلي هذه الجهة بل استقر هو وجنوده حيث كانوا ولعله كتب تفصيل المسألة الي اسطنبول ولذلك عدلنا عن سوق الجنود بعد تفكير وتشاور . والذي حملنا علي ذلك هو لو أننا أرسلنا إلي تلك الديار جنودا عاجلا يمكننا أن نرسل معهم مؤنا تكفيهم نحو عشرة أيام ولكنهم لو رجعوا الينا بعد بلوغهم تلك الديار وقضائهم مهمتهم لنزل الي اللاذقية جنود من حلب تارة اخري قبل وصول الجنود الراجعين الينا لبعد اللاذقية عنا وقربها من حلب . ولو أقام الجنود المرسلون من لدنا في قضاء اللاذقية لعانوا ضائقة شديدة من جهة المؤن ولو أرسلنا من الجنود عددا قليلاً فلا ريب أنه لا ينبغي أن تسكن عدداً قليلاً من الجنود في تلك الديار أي علي الحدود الواقعة علي هذه المسافة البعيدة فضلاً عن عدم مقدرتهم علي تبديد شمل العدو وقهرهم كما ينبغي . حتي إذا تمت مهمة عكاء وانتهت في هذه الأونة ببركات همم دولتكم السامية زحفنا فورا مع قوة كافية من العسكر علي المشار إليه ، لنقاتله ولنهزمنه كما ينبغي ولنقتلنهم ليكونوا عبرة للسائرين . والأمر فيه وفي كل حال لحضرة من له الأمر عند اطلاع دولتكم علي ما قدمنا .

الخاتم

سلام علي ابراهيم

١- هكذا في الأصل، ولعلها (نهزمه) .

٢- هكذا في الأصل، ولعلها (دائرة) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن والي حلب - سر عسكر بلاد الشام - بدأ يستميل بعض أمراء الشام إليه .
- ولأن هذا العمل يمكن أن يؤثر في موازين القوي ، فإن محمد علي يأمر ابنه أن يوبخ هؤلاء ، وأن يصل في هذا إلي درجة التنكيل بهم .
- ثقة إبراهيم باشا أن الاستيلاء علي عكا يمكن أن يسوي كل هذه المسائل .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة : موقف أمراء الشام من الصراع الدائر بين ظهرانيهم.

تاريخها : (بدون تاريخ)[١].

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم١٧٥ .

من : [٢]................. .

إلى : [٣]................. .

قدم يوم تاريخه حسن أغا مندوباً عن أحمد بك القائم بمهمة اشتراء الخيل بالشام وقد قيل في هذا الكتاب الذي أتي به من عند المشار إليه أن كل أمروشأن سيفهم من مقالة الأغا المشار إليه الشفهية فقدمناه إلي الحضرة السامية . حتي إذا مثل بين يدي سموه وسئل قال إن سعاة الدولة لما أتوا بكتاب يقضي بتفويض - ولاية الشام إلي عهده علي باشا والي قونيه اجتمع أغوات الشام وهم أمين اكيلار محمد أغا ومحمد الجوربجي وعبد القادر أغا كلاهلي زاده وعلي أغا خزينة كاتبي زاده وحموده أغا الباكير والحاج رشيد يكن (ابن أخت أو أخ) شملي فعقدوا مجلسا مع أحمد بك وأوفدوني إلي هذه الجهة. وقد قالوا فيما بينهم نحن نريد مولانا ولي النعم ابراهيم باشا ولكننا (نعلم)[٤] هل للمشار إليه رغبة فينا أم هو راغب عنا

١- المرجح أن يكون تاريخ الوثيقة أول ذي العقدة ١٢٤٧هـ / الموافق أول أبريل ١٨٣٢م .

٢- يرجح أن تكون من معسكر إبراهيم باشا .

٣- يرجح أن تكون مرسلة إلي محمد علي .

٤- هكذا في الأصل ولعلها (لانعلم) .

فعلينا أن نعرف حقيقة الأمر ثم نعمل بمقتضاها فإن كان يبتغينا فإنا نرفض ذلك الباشا المزمع قدومه . واتفقوا ، كلهم علي ذلك إلا أنهم ينتظرون صدور كلمة قاطعة من مولانا . وأن شمدين أغا لمعهم إلا أنه يخشي مولانا (شياءً)[١] قليلا فالتمس من أحمد بك استصدار كتاب أمان من مولانا ووعده أحمد بك ذلك . فأجابه الجناب العالي[٢] بما يأتي : بلغ الأغوات سلامي وقل لهم إني علي شاكلتهم وإني معهم . فليكونوا مطمئنين آمنين وليثابروا علي أعمالهم وسيأتي حضرة عباس باشا الجيش مع سواري الجهادية بعد ستة أيام إن شاء الله تعالي فأرسله إليهم أو أرسل حضرة إبراهيم باشا يكن[٣] وأرجو أن تنتهي مهمة عكاء بعد عشرة أيام بحول الله تعالي وقوته وسآتي بنفسي بعد أن تنتهي غير أنه لا ينبغي لهم أن يفشوا الآن خبر اتفاقي معهم . وليس لأحد أن يطلع علي هذا الشأن حتي يولي أحد الباشوات علي الشام ونأتيها . وإذا سألوك عن اخبار هذا الجانب فاننا لا نشرع في ضرب عكاء لاننا مشغولون بنقل المهمات والجبخانات وانشاء المتارس والطوابي منذ حشرنا الجيش أمام عكاء . ولقد بلغت متارسنا الآن مسافة نصف منزل الرصاص من عكاء . وستكون خمس عشرة من (   )[٤] جاهزة متأهبة هذه الليلة مع مهماتها وجبخانتها فنتمكن صباح غد من إطلاق النيران علي عكاء من خمسة عشر هاونا . ولنا فشنكات مبتكرة صنعت من الأجزاء النارية

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (شيئاً) .

٢- لفظ الجناب العالي كان يقصد به دائماً في المراسلات محمد علي ، لكن المقصود به هنا ابنه إبراهيم.

٣- تعبر عنه المراجع الفرنسية بإبراهيم باشا الصغير ، تمييزا له عن إبراهيم باشا بن محمد علي ، وهو الذي قاد القوات البرية التي اتجهت إلي الشام ، بينما انتقل إبراهيم باشا (بن محمد علي) بحراً ، أنظر ، الرافعي : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

٤- بياض في الأصل، ولعله (مدافعنا) .

فلم يتم صفها واعدادها ولا مهمات الثلاثين مدفع الحصار الكبيرة التي لدينا حتي إذا تمت في بضع أيام فتشرع تلك المدافع والفشنكات في ضرب عكاء من جهة البر والسفن من جهة البحر فتؤدي إلي خراب قلعة عكاء لغاية عشرة أيام بحوله تعالي، قل لهم هذا وخذ أنت ادارتك اليوم وارحل وكتب كتاب ذكر فيه وصول عريضة أحمد بك وحسن أغا المشار إليه وقيل فيه أن أخبار هذه الديار ستعلم من مقالة حسن أغا المذكور . وكتب كتاب أخر إلي شمدين أغا نسخت صورته فيما يأتي .

صـــــورة الكتـــاب

لقـد عجـبنا اذ لـم يـأتنا كتـاب (معكم)[1] ، منـذ قـدمنا هـذه الديـار ، يتضمن تقـديم السولاء أو يحـتوي أنبـاء هذه الديار نعـم لـم يسبق لنـا صحبة معـكم ولكـن افـلا تسمعون عنا شيئاً . ولقد سـألنا علـي أغـا عـن ذلـك عند قدومه هـذه المرة فقـال لنا إنكم دائبـون علي مصـادقتـنا والاخلاص لنا الا أنكم تخشون بأسنا فعجبنا من ذلك غاية العجب . فإذا بلغكم كتابنا هذا فاخرجوا ذلك الوسواس من قلوبكم ولاتقطعوا عنا مراسلاتكم .

١– هكذا في الأصل ولعلها (منكم) .

يستخلص من هذه الوثيقة :–

– مثلما أعلن بعض أمراء الشام ولاءهم للدولة العثمانية ، فقد أوفد البعض الآخر من أمراء الشام الموالين لمحمد علي مندوبين عنهم ليتحسسوا الموقف الحربي حول عكا حتي يحددوا ولاءاتهم

– وإذا كان إبراهيم باشا قد طمأنهم بأنه علي « شاكلتهم » فإن الموقف الحربي كان لا يزال غامضاً ، فهو حتي تلك اللحظة كان في مرحلة التجهيز ، ولم يكن قد شرع بعد في ضرب أسوار عكا ، وعليه فقد أسرف في شرح الموقف حول أسوار عكاء وفي الوعود مؤملاً – وإياهم – أن تنتهي المسألة في عشرة أيام لا أكثر.

– وإتماماً للفائدة فقد أرسل كتبا مع هؤلاء المندوبين ليضمن ولاء الأمراء ويهدئ من روعهم .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : مرسوم من والي حلب - سر عسكر بلاد الشام - يحذر من متابعة أهل الشام لمحمد علي .

تاريخها : ١١ ذي القعدة ١٢٤٧هـ[١].

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٣، صورة الوثيقة العربية رقم ٣/٢٧ .

صورة مرسوم والي حلب عمومي الخطاب إلي أهالي حمص .

إنه معلومكم بالحالة هذه ليس لنا ولالكم ولا لأهالي هذه الاقطار المحروسة من دولة تطاع وسلطان يتبع سوي هذه الدولة العثمانية أيدها وأبدها رب البرية فالواجب علي كل مسلم إطاعة سلطانه والاستظلال بظلال أمانه - وفرض علي كل من يعد نفسه من أهل الاسلام ويكون مقتضياً بشريعة سيد الأمام لم تحدثه نفسه في الخروج عن الطاعة والأنقياد ولا يقبل متابعة أهل البغي والفساد ولايبيع دينه بدنياه ولا يتبع بذلك غيه وهواه بل يقاتل دون عرضه ودينه لا يقبل قول العذول عن العدول عن إطاعة الدولة السلطانية ولو كان فيها حتف نفسه ووقوع حيفه فبناءً علي ذلك أنتم أيها المخاطبون المومي اليهم واجب لعهدة ديانتكم وإسلاميتكم عدم الأصغاء لأباطيل الباغين وإياكم ومتابعة الخارجين الطاغين ونحن بحوله تعالي وقوته يوم الخميس المبارك ننزل باوورديناً[٢] المنصور الي حماة وصحبتنا من العساكر الموفوره والجنود العديدة المنصورة ما تقهر الاعدي[٣] صولتها وتدمر المخالفين سطوتها ومن

١- الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢م.

٢- المقصود جيشنا .

٣- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الأعداء) أو (الأعادي) .

جيش ظلال السدة العلية الخاقاية[١] من أبواب اسكدار[٢] إلي هذه الاطراف لا تزال براً وبحراً ثانياً العساكر فوجاً فوجاً والمدافع المهولة والات الحرب من كل جانب لا برحت ترد علينا ومن (ورايتا)[٣] قوات الظهر مقدار أربعين ألف من عساكر المنصورة المحمدية وإلي الآن قد دخلت حدود أنطاكية واللاذقية والسطوة السنية السلطانية (قد ملأت) قد ملأت[٤] البر والبحر وعمت السهل والوعر فالذي يستقيم علي جادة الانقياد ولا يعدل عن طريق الرشاد فينال الأمن والسلامة والذي يتبع أقاويل المخالفين ويصغي لأقوال الباغين يحل به عن قريب النكال والثبور ولا تنفعه فيما بعد ذلك (النذامة)[٥] فلا يهولكم خداعة هؤ لاي الاقوام فكل منهم قريباً يجازي بسوء فعله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فسوف كل باغ يصير مظهراً للحسام البتر[٦] وعلي الباغي تدور الدواير فلأجل النصح والانذار من ديوان حلب ورقة ومقام سر عسكرية الأقطار العربية ومرحلة خان شيخون حررنا المرسوم وأصدرنا .

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (الخاقانية) ومعناها السلطانية .

٢- ابواب اسكدار ضاحية من ضواحي اسطنبول .

٣- هكذا في الأصل ولعل صحتها (ومن ورائنا) .

٤- مكررة في الأصل .

٥- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الندامة) .

٦- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الباتر).

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن الدولة العثمانية وهي تدرك ضعف موقفها ، قد ركزت علي اتجاهين:

الأول : التأثير علي العامل الديني بوجوب طاعة (خليفة المسلمين)

والثاني : بيان قوة السدة العلية السلطانية والتي سيرت العساكر أفواجاً .. أفواجاً ... إلخ .

وثيقة رقم (٥)

موضوع الوثيقة : خطة الدولة العثمانية لطرد محمد علي من الشام مع صعوبة ذلك بسبب نقص الإمدادات وتلون أهل الشام .

تاريخها : (بدون تاريخ)[١].

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣/٢٧ .

من : [٢]................. .

إلى : [٣]................. .

تلقيت أمر دولتكم السامي بكل تعظيم وأحطت بمضمونه الكريم وقد ذكرتم فيه أن عريضتي التي سبق أن قدمتها إلي أعتابكم السامية حاكياً فيها إلي مغادرة حلب في غرة شهر ذي القعدة وذاكراً أموراً أخري كما أن دولتكم أخبرتموني فيه أن دخول العساكر المنصورة المحمدية في ميدان القتال لا يكون سالما من المحذور ما لم يجدوا لأنفسهم قوة مظاهرة إلا أنه - يجب الزحف علي قلعة عكاء لوقوعها تحت الضغط مع إحالة أنظار (   )[٤] والتبصر أماماً وخلفاً يميناً ويساراً وأن حصار قلعة عكاء سيعتريه فتور كلما تقدمت جنود الدولة العلية بحول الله تعالي وأنه قد تقرر إرسال قدركبير من الذخاير مع الأسطول الهمايوني[٥] غير

١ـ هذه الرسالة بعد معركة الزراعة ، أي بعد ١٣ ذي القعدة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٤ أبريل ١٨٣٢م .

٢ـ محمد علي باشا سرعسكر بلاد الشام .

٣ـ الباب العالي .

٤ـ بياض في الأصل ، ولعلها (الاهتمام) .

٥- همايون لفظة فارسية الأصل ، ومعناها اللغوي مبارك أو حسن الحظ أو مقدس.

الذخائر التي تكرمتم بترتيبها سابقاً غير أن الذخاير المرتبة سترسل إلي ميناء السويدية بعد أن يصل العساكر المنصورين الي أنطاكية قادمين من (قونيه) وأن علينا أن نبادر باشعاركم بالمواني التي يجب إرسال الذخاير اللازمة إليها كلما تقدم الجنود المشار اليهم بعون الله تعالي وأن الفشنكات[١] التي التمسنا ارسالها سترسل وأن علينا أن نحفظ الجبخانات[٢] والذخائر المرتبة من أجل انطاكية وانه قد صدرت الأوامر السامية بترتيب أغنام من جهات الشام وحلب وأن دولتكم أصدرتم الي عبدكم الأغا محصل قبرص أمركم السامي في إرسال الذخائر وأمراً علي حده في إرسال المملحات . وقد غادرت حلب في أول ذي القعدة كما بينت ذلك في عريضتي التي اطلعتم عليها قبل الآن ولما كانت سائر الصنوف العسكرية لا تصلح لعمل في نفس الامر مالم تؤيد وتظاهر بالعساكر المنصورة المحمدية سبق أن رفعت إلي أعتاب دولتكم التماسا بأن تتكرموا فتعززوا (معية)[٣] بقوة من الجنود المنصورة، فتفضلتم بوعد ارسالهم جملة واحدة فمكثت في حلب منتظراً قدومهم وكنت عاملاً علي تنظيم اللوازم واستمالة الضواحي وايمانهم[٤]. وإذ أنا دائب علي هذه الأعمال قام الخونة المصريون بهذه الافعال غير المرضية فتكرمتم لذلك بتفويض مهمة السرعسكرية العظيمة إلي عهدة خادمكم هذا وكان أهل بر الشام يعلمون أني منتدب لدفع إبراهيم باشا وتبديد جمعه وكانوا يرتقبون حركتي وأعمالي ولكنهم لم يكونوا ليدعوا التفكير في العواقب فهم يرسلون إلي ابراهيم باشا فتبين أنهم يريدون أن يوهنوا الطرفين حتي إذا تجلت الغلبة والنصر في أحد الجانبين انضموا الي الجهة

١- الذخائر .

٢- سبق التعرف بها .

٣- هكذا في الأصل ولعلها (معيتي) .

٤- لعل المقصود التأثير عليهم بالعامل الديني.

الفائزة وقد سبق أن أنبأتكم أن عبدكم صاحب السعادة عثمان باشا بكلريك[1] طرابلس وقد غرته الانباء القائلة أن إبراهيم باشا لآت فاتبع وهمه وترك الخيم منصوبة وطلب النجاة بانتقاله إلي جانب حما فكان عمله هذا مشجعاً للخصم وازداد الأهلون. الذين يرتقبون الفوز في أحد الفريقين ميلا وخضوعاً لجانب مصر وقد فعل هذا دون أن يتفقدحقيقة إبراهيم باشا ويتحري قوته . وقد أوشك بعمله هذا أن يثير الهياج بين جيش حما . ولما تبين هذا من أحوال المشار إليه وكان أهل ايالة الشام منتظرين نتيجة الفوز والظفر وعلمت من تسليم أهل حمص إلي إبراهيم باشا بدون قتال أنه لا يمكن لأحد أن يقابله ويقاومه إذا لم أخرج من حلب فخرجت بناءً علي هذه الضرورة وصفوة القول أنا انتزعنا حمص من أيدي المخالفين مرة اخري[2] فظللت ماكثاً في حمص وذهب إبراهيم باشا الي بعلبك وتحصن فيها وجاء عباس باشا قرية زحلة الواقعة بجوار بعلبك ليمد الباشا المشار إليه فاصطفيت من بين الجنود الذين معي نحو عشرة الاف جندي ممتاز ومجرب وأرسلتهم تحت سيادة كتخدا[3] عبدكم هذا بعد أن تركوا أثقالهم بحمص فساروا مشاة وركبانا الي بلدة القصير الواقعة قريباً من بعلبك وعززناهم بأربعة مدافع ولا نألو جهداً من إرسال كتب إلي جبل الدروز والبلاد الأخري في تألف أهلها واستمالتهم غير أن إبراهيم باشا ظل ايضاً يرسل اوراقا في اذاعة انواع الأراجيف . (ولقدمنا)[4] إلي أعتاب دولتكم بيورلديه[5] الذي أرسله إلي حمص لا طلاعكم عليه . وكانت مغادرتي حلب وسفري

١- سبق التعريف بها .

٢- الحقيقة أن إبراهيم باشا ترك حمص لتتمركز قواته في زحلة وبعلبك مكونة خط دفاع أول - تاركاً معها عباس باشا حفيد محمد علي وسليمان بك الفرنساوي - بينما اتجه هو الي عكا لمتابعة حصارها وفتحها .

٣- الكتخدا هو الوكيل .

٤- هكذا في الأصل ولعلها (ولقد قدمنا) .

٥- المكاتبة أو الخطاب .

الي حمص مبنيا علي هذه القضية . ولو أني عززت ببضع طوابير من العساكر المحمدية والأسطول الهمايوني إجابة لطلبي السابق فأرسل كل ذلك إلي ساحة عكاء أو الي معية عبدكم هذا لاورثني ذلك فخاراً عظيما كما أنه لو كان الجيش الهمايوني قوة الظهر من خلفنا لضحيت برأسي وحياتي اللذين وقفتهما علي خدمة الدين والدولة منذ توليتي رتبة الوزارة ولاجتهدت في إثبات مدعي الصداقة والغيرة بلطف ربي وعنايته وبتأثير أنفاس مولانا صاحب الشوكة وبركاتها سائلاً الألطاف الإلهية معونتها في تشتيت شمل المخالفين . وأن عبدكم هذا المعدود منذ حداثة سني من زمرة الوزراء العظام الذين ثبت صدقهم واستقامتهم لدي الدولة العلية وقد مكثت كثيراً في خدمتها ووقفت (عمر وطايتي)[1] في تحصيل الرضاء السامي . ولا ثبتن في أظهار الغيرة والصداقة جهد طاقتي . اما الهفوات التي تقع مني غفلة فأرجوا أن تقابل بالعفو والصفح وأن تسجلوني في قائمة عبيدكم الاصدقاء وتشملوني بمحاسن أنظاركم تسهيلاً للقيام بمهمتي .

١- هكذا في الأصل ولعلها (ووقفت عمري وطاقتي).

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- يوضح خطاب سر عسكر بلاد الشام خطة الدولةالعثمانية بإنقاذ حملة برية إلي بلاد الشام لفك الحصار عن عكا وطرد محمد علي من بلاد الشام .
- لكن القائد العام يشكو من عدم إمداده بالعساكر أو المؤن والذخيرة .
- أهل الشام - من وجهة نظر السرعسكر - متقلبون ، وأنه يبذل جهده ليستميلهم إلي الدولة العثمانية .
- تفيد الوثيقة أيضاً أن العثمانيين استردوا حمص بعدما تركها ابراهيم باشا لكي يلحق بقواته المحاصرة لعكا ، والتي تعرضت لضغط من قوات عبدالله باشا الجزار .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : تنظيم قوات إبراهيم باشا في بلاد الشام .

تاريخها : ١٨ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ [١]

مصدرها : وثائق عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ .

من [٢] : ....

إلى [٣] : ....

مولاي صاحب الدولة والمرحمه ولي نعمتي بدون من .

سبق أن كنت قدمت إلي أعتابكم السنية عريضة بينت منها كيف أن الحالة تقضي ببقائنا في زحله بسبب عدم كفاءة عبدكم الباشا الحفيد (يقصد الأمير عباس) لادارة جيش زحله واشاعة وصول جنود المخالفين إلي بعلبك وحدوث ما وقع من سليمان بك[٤] من التصرفات السيئة . وقد تفضلتم في ردكم العالي علي عريضتي هذه فوافقتم علي رأيي العاجز حيث قلتم واذا وفقنا لفتح عكا تتقوي مصلحتنا الخيرية وان تأخر فتحها فليس في ذاك مدخر وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفذون منها - لا قدر الله - فتسوء الحالة من كل جهة ».

واني وقد فهمت مغزي عبارتكم القيمة هذه فأقول : مولاي كنت رأيت رأيي السابق شرحه وعرضته علي أعتابكم السنية حسب الظروف السائدة في ذاك الوقت إلا أنني لما انتهت

١- الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م.

٢- ابراهيم باشا .

٣- محمد علي .

٤- هو سليمان بك (باشا فيما بعد) الفرنساوي أو (الكولونيل سيف) .

مسألة الدروز وقتئذ علي خير مايرام وكان الآلاي العاشر والآلاي الحادي عشر والآلاي الثاني عشر والآلاي الثامن عشر والاي الغارديا والآيا السواري والستمائة فارس العربية وأضعاف جنود العدو المرابطة في حمص وهو الذي جعلهم لا يستطيعون التحرك نحو بعلبك. وكانت المسافة بين عكا وزحله تقطع في مرحلتين بسير سريع بحيث اذا وقعت من جانب العدو أي حركة يمكننا أن نركب فنلحق بهم في الحال. لذلك كله قد أصدرت إلي عبدكم عباس باشا وسليمان بك التعلميات التي يعملان وفقا لها وقصدت أنا إلي عكا كما عرضت ذلك علي أعتابكم قبل أيام فليس هناك اذن ما يدعو إلي التفكير والانزعاج من جهة المخالفين بفضل ربي ونصره فانني قد نظمت البريد من صحراء عكا الي زحله ومنها إلي حمص فيعمل بانتظام ونتلقي الأخبار في كل حين فإذا فرض ووقعت أي حركة من جانب العدو فيمكننا ان نلحق بهم في يوم ونصف اليوم وإن كنا قطعنا في مجيئها من زحله الي عكا يومين . والتمس مولاي أن يطمئن من هذه الناحية ليس هناك من شك في قهر هؤلاء وهزيمتهم فإذا قدم سردارهم حسين باشا [1] إلي الجهات المذكوره سنذيقه طعم سيفكم الخديوي البتار فيكون نصيبه أيضاً الهزيمة « وما النصر إلا من عند الله » وإني قد عرضت الحالة علي اعتابكم السنية آملاً التفضل بالإطلاع عليها والأمر بعد ذلك مفوض الي رب الأمر .

الختم

سلام علي ابراهيم

١- سر عسكر الجيش العثماني كله .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- خوف محمد علي من نزول قوات عثمانية في الوقت الذي لم ينته فيه إبراهيم باشا من فتح عكا « فتسوء الحالة من كل جهة » .
- لكن إبراهيم باشا يطمئن والده بأنه وضع قوات شمال عكا لتكون حاجزاً بينها وبين الجيش العثماني القادم من الشمال أثناء فتحه لعكا ، وحتي إذا حدث وجاء هذا الجيش فإنه سيترك قوات لمتابعة حصار عكا ، ويتحرك هو شمالا لملاقاة هذا الجيش .

وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة : ارسال أمراء الشام مندوبين عنهم لتحسس الموقف العام حول عكا ، وموقف ابراهيم باشا منهم .

تاريخها : ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ (المستخرجة عن جرنال [٢] يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٢٤٧ هـ) .

من [٣] : ....

إلى [٤] : ....

بعد يومين من تشريف مولانا ولي النعم السر عسكر الأفخم معسكر عكا اجتمع لدي دولة المير لواء سليم بك[٥] ومنيب أمف كاتب ديوانه وعبدكم حنا [٦] مدار الحديث حول مدينة الشام فانها اذا تركت وشأنها وظل واليها يقيم بها لايخلو من إثارة الفتنة والفساد في الجهات

١- الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢ م .

٢- جرنال تعني بيان يومي بأعمال الهيئات المختلفة .

٣- معسكر ابراهيم باشا .

٤- الجناب العالي .

٥- هو سليم ساطع أمير لواء المدفعية المصرية في بلاد الشام . انظر عبد المنعم الجميعي : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

٧- يوحنا أو حنا بحري ، مسيحي حمصي الأصل ، حضر الي مصر مع يوسف باشا كينج ، أعجب بد محمد علي لمقدرته وكفاءته فقربه اليه واعتمد عليه ، وحصل علي رتبة أمير لواء انظر ، لطيفة محمد سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥ ، والجميعي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

كما انها ستبقي ملجأ يأوي اليه العدو المنتظر مجيئه من الشمال وانه لما كانت إيالتا الشام وصيدا مشتركين في الحدود فليس من الصواب جعل العدو شريكاً لنا في الإيالتين وبناء علي هذه المقدمات بالبداهة رؤي انه بعد فتح قلعة عكا وفتحها مؤمل من لطف الله تعالي عقب الهجوم الذي تقرر القيام به هذه المرة - يترك فيها حامية بمقدار كاف ثم يهجم علي الشام مع الجنود كلهم وقد استحسن الجميع هذا الرأي حتي انه اذا فرض وفشل الهجوم علي عكا يترك أيضاً مقدار كاف من الجنود لمواصلة حصارها ويهجم مع بقية الجنود علي الشام فتدخل في حوزة الحكومة المصرية ، ويخلص من مشكلة فتنة والي الشام ومتفقيه وبعد اتخاذ هذا القرار تقرر ايضاً ان يحرر من قبل مولانا السر عسكر كتاب خاص الي احمد بك المقيم بالشام يكلف فيه حضرته بابلاغ الفكرة المشار اليها الاغوات المقيمين الي باب دولة ولي النعم ويشعرنا بما يكون من ردهم بسرعة . هذا وقد كانت زعامة قرية فيق التابعة لإيالة الشام المتاخمة لإيالة صيدا في عهدة السيد عمر العمري من سكان الشام ولكن عبد الله باشا كان يستولي علي محصولاتها بدلاً منه في مقابل مال معلوم وقد اتفق ان جاء المعسكر في هذه الفترة الشيخ احمد اخو السيد عمر المذكور يرافقه خليل أغا خداويردي اوغلو من أعيان حي القيميرية بالشام ملتمسين ضبط واحالة القرية المذكورة الي متصرفها السيد عمر حسب الزعامة (ونزولاً)[1] خيمة عبدكم هنا وابلغاه انهما وفدا للعرض المتقدم الذكر غير ان عبدكم هنا فهم ان مجيء الشيخ احمد يحتمل ان يكون لهذا الغرض بخلاف خليل أغا فليس من المعقول ان يكون قد حضر لهذا الغرض ولابد انه لمصلحة اخري وبعد ساعة اختلي بخليل اغا هنا فقال له قل لي المهمة التي قدمت من اجلها حقيقة اذ ليس من المعقول انك تأتي من الشام الي حد هنا لمجرد مرافقة الشيخ احمد في الطريق ولم يزل حتي حمله علي الاعتراف بأنه وان كان قدم في الظاهر لمرافقة الشيخ أحمد غير انه قدم في الحقيقة لمشاهدة حالة عكا وتعرف ما إذا كانت

---

١ - هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (ونزلا) .

لدينا نية الهجوم علي الشام او لا ؟ ثم الح عليه حنا بأن يعرف ايضاً هل هو حضر بايعاذ من أحد الاغوات[١] ؟ فقال : لم يرسلني أحد منهم غير ان احمد العماري زاده من اعيان حيفا رغبني في السفر فحضرت كما ان علي اغا خزينة كاتبي زادة [٢] يعلم مجييء كل هذا ولم يزد عليه ولما عرضت اقواله علي اعتاب مولانا السر عسكر تفضل فدعاه الي حضرته فخاطبة قائلاً لقد قررنا الهجوم علي قلعة عكا من اربعة مواضع والمأمول من الله تعالي فتحها عقب هذا الهجوم علي اننا سواء نجحنا فيه أو فشلنا فسنهجم بعده علي الشام والسبب في هجومنا عليها هو ما نعلمه من سوء نية الدولة ووزرائها والجنود المرابطة في حمص بصفة خاصة ازاء الشام ومن ولاء معظم الشاميين واخلاصهم لنا فنريد بهجومنا هذا حمايتهم وانقاذهم واذا كان الأمر كذلك فاذهب انت الان الي الشام وابلغ اقوالنا هذه الاغوات المخلصين لنا فحيث ان هجومنا علي عكا يقع خلال ثلاثة أيام ونتحرك نحو الشام بعد خمسة ايام من الهجوم فلديك ثمانية أيام يجب ان تسافر وتعود خلال هذه الايام الثمانية وتعلن ظاهراً انك تأتي الي المعسكر بجمال وسيحرر من قبلنا كتاب الي الاغوات تذكر فيه ان سفرك لشراء الإبل مع الابصار بان يثقوا بالاقوال الشفهية التي تبلغهم عنا ، ولما تلقي خليل أغا هذه الاوامر والتعليمات قال ممثلاً [٣] : الامر لمولانا وفعلاً قرر العودة الي الشام فحرر كتاب عربي علي النحو المشروح موجه الي رشيد اغا ألشجلي زاده وعلي آغا خزينة كاتبي زادة وعبد القادر آغا ومصطفي أغا أورفه لي[٤] اوغلو وعايد عمر اغا وسلم الكتاب اليه فارسل الي حيث أمر كما

١- لفظة أغا في اللغة التركية تعني رتبة عسكرية لذا تطلق اللفظة علي العسكريين تمييزاً لهم عن المدنيين .

٢- خزينة كاتبي هي كاتب الخزينة .

٣- خزينة كاتبي هي كاتب الخزينة .

٤- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (ممثلاً) .

اوفد دولة حسن اغا امين للمرحوم يوسف باشا كنج الي احمد بك امين النزل السابق لجيش المورة وحمله كتابا في هذا الصدد وها هي ذي صورته :

تضرب الان قلعة عكا ضربا شديداً باستمرار وبعد ثلاثة أيام سنهجم عليها متوكلين علي الله تعالي من اربعة مواضع حسب الخطة المرسومة ونؤمل من الله خير الناصرين ان يوفقنا لفتحها والاستيلاء عليها ثم ان الدولة بما تضمر نحو الشام من سوء النية تجعل جنودها تتسلل في بلاد الشام بمختلف الاسباب ومن المحقق لدينا انها تريد بذلك القضاء علي الأسر والعائلات الاصيلة فيها وبما اننا مرتبطون بالعنصر العربي بوشائج القرابة وبقرب الديار والمجاورة فيحتم علينا الواجب والمروءة ان نحمي تلكم الاسر والعائلات من جميع سكان الشام من غدرهم (اي العثمانيين) المألوف المستتر في ضمائرهم الخداعة دفاعاً عن عنصرنا ومراعاة لحقوق الجيرة لذلك قررنا ان نهجم علي الشام بعد الهجوم علي عكا واذا علمتم ذلك فعليكم ان تقابلوا رشيد اغا وعلي اغا وعبد القادر اغا ومصطفي اغا اورفه لي اوغلو وعايد عمر اغا وهم الاغوات الذين يدينون لنا بالولاء التام وتبلغوهم مضمون كتابنا هذا وتعلموا ما سيكون من موقفهم حينما نقصد الي هناك بجيشنا وتبلغونا ردودهم بسرعة هذا مطلوبنا منكم بصفة قطعية .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- رجوع ابراهيم باشا (ومستشاريه) عن الفكرة السابقة بإنهاء مهمة عكا أولاً ثم التفرغ للقوات العثمانية القادمة من الشمال ، فها هو يقرر ترك قوة قليلة لمتابعة حصار عكا ، ويتحرك شمالاً ليلحق دمشق بالنفوذ المصري ، ولكن هذا الأمر يستلزم التأكد من موقف أمراء الشام ، ويكون « ردهم بسرعة » .
- ومن ناحية أمراء الشام فقد أرسلوا عيونا لهم لتحسس الموقف وتحديد الولاء .
- ولعلم ابراهيم باشا بحيرتهم ، فقد حرر لأمراء الشام كتباً يؤكد فيها أنه مرتبط بالمنصر العربي ، وأنه معني بحمايته من الخطر العثماني .

وثيقة رقم (٨)

موضوع الوثيقة : خطة إبراهيم باشا لاحتلال حلب ، وتوضيح موقف أهلها إزاء القوات العثمانية والقوات المصرية.

تاريخها : ٢١ محرم ١٢٤٨هـ[1].

مصدرها: محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٥، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥/١٣٨ .

من : السرعسكر إبراهيم باشا.

إلى : محمد علي باشا الكبير.

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي من غير من . علمت مضمون أمركم العالي المؤرخ ١٣ محرم المتضمن التدابير التي ترونها في سبيل الاستيلاء علي حلب بعد ما يتم الاستيلاء علي القطر الشامي والقضاء علي جيش حمص . الان وان تم لنا بفضل الله تعالي الاستيلاء علي الشام ووجب الهجوم علي جيش حمص والقضاء عليه ثم التوجه الي حلب غير أنه نظرا لوجوب اعداد الاستعدادت اللازمة لهذا الأمر من هنا فاتحت فيه عبدكم الميرلواءات والمير الايين أثناء وجودهم عندي في مغرب أمس وشاورتهم فيما اذا كان من الصواب مواصلة الزحف الي حلب بعد الفراغ من حمص واذا كان صوابا فما هي الخطة التي يجب السير عليها واذا لم يكن صوابا فما هو المحذور الذي يبدو لهم ؟ وبعد كلام طويل افترقوا فريقين فريق ذهب إلي مواصلة الزحف إلي حلب بدون توقف بعد الفراغ من أمر حمص وفريق قال بعدم التقدم نحو الأمام والانتظار حتي يأتي الينا جيشهم باقدامهم . وفي صباح اليوم اجتمعت

١- الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢م .

(.....)[١] الأمير بشير (وتبادله)[٢] الراي في هذا الصدد (وقبلنا)[٣] الامر من جميع وجوهه وإتفق إيانا علي الخطة التي أوردها فيما يأتي :

نقوم من هنا ومعنا من المعدات ما يكفي لإيصالنا إلي حد حلب وبعد ما نضرب حمص ننظر إلي الحالة فاذا هزمنا العدو واستطعنا تفكيك عري جيشه تفكيكاً لا يرجي معه لم شعثهم[٤] فيما بعد لا نتركهم ونطارده إلي حد حلب وأما اذا لم نستطع ذلك بحيث يقدرون علي ان ينسحبو انسحاباً منظماً فلا نتقدم إلي الامام فأنهم علي التقديرالثاني فيصمدون فيها ويجب علينا حينئذ محاصرة حلب وفي هذه الحالة اذا فرض وجاء جيشهم الذي في الوراء نستهدف لخطر الوقوع في البين أعني أننا لا نستطيع ترك الحصار والهجوم علي جيشهم ولا نتخلي عن جيشهم إلي مواصلة الحصار . ولقد تم قرارنا علي هذا الرأي فسنقيم مدة خمسة أوستة أيام أخري نعد خلالها الجمال وسائر المعدات اللازمة وبعد اتمام هذه الأمور نقصد إلي وجهتنا .

مولاي تفضلتم وقلتم في أمركم العالي أن سكان حلب لا يمكنون مهزومي حمص من دخول مدينتكم . ولكني أري أن هزيمة هؤلاء إذا كانت انسحابا منظماً إلي الوراء فلا يستطيع الحلبيون منعهم من الدخول بل يهرعون لا ستقبالهم بالتعظيم والتوقير فان كثيراً ممن ينعمون بنعمتكم ، فضلاً عن سكان تلك الجهات مازالوا ينظرون إليهم بعين الاكبار ولا يتصورون انهم من قبيل لا شئ لقد كان الشاميون يظهرون لنا الولاء والاخلاص منذ أمد بعيد ومع ذلك لم يتغلبوا علي طباعهم ولم يرتاحوا حتي قاوصونا مقاومتملحة وسافر الذين كانوا يتظاهرون

١- بياض في الأصل ، لعله (عبدكم) .

٢- هكذا في الأصل ولعلها (وتبادلنا) .

٣- هكذا في الأصل ولعلها (وقبلنا) .

٤- من الشعث ، وهو ما تفرق من الأمور ، أنظر ، المعجم الوجيز .

بالولاء لنا في معية الباشا (كذا في الأصل لعله يقصد والي الشام - المترجم) ولم يلحقوا بنا وخصوصاً لا يقبل عقلي فكرة الاستعانة علي الحجاز المصلحة بارسال الكتب إلي مفتي حلب أو مفتي مرعش وذلك لاننا لم نتتفع في إنجاح حملة الشام بمثل هذه الاساليب وانما حققنا ما حققناه بفضل السيف والسنان . والواقع كان في استطاعتنا ان نفرغ من أمر جيش حمص إلي الآن ولكن التقصير في هذا الصدد لم يقع من جانبنا فحسب فلمصر أيضاً نصيبها من هذا التقصير فكم من كتب وجهت حتي الأن أطلب إرسال فرسان العربان[1] فلم يصلوا بعد وكم كتبت أطلب إرسال الطوبجية[2] فلم يصلوا بعد فيبدو من جانب مصر إهمال كثير جداً في هذه الآونة ونحن هنا نستطيع نقل الآف الجنود الي مسافة خمس وعشرمحطات خلال أيام قليلة علي الرغم من بعد الشقة بيننا وبين مصر في حين أن مصر لم يرحل منها شرذمة من الفرسان البدويين طوال هذه المدة بدون ضرورة تبرر ذلك مع أن الحاجة إليهم في هذه الفترة أمس منها في أي وقت آخر ولذلك فإرسالهم بسرعة ممكنة لازم جداً ومهم للغاية . تتفضلون وتتحدثون في أمركم العالي عن النظام السائد في سفننا ذلك النظام يدعو إلي الطمائنينة من جهة البحر في الواقع لا يمكن أن يلاحظ شئ علي النظام السائد في السفن ولم يكن جيش البر أقل من اسطولنا في النظام ومع ذلك ما كنا نجزم بمهارتهم قبل تجربتهم تجربة فعلية وكذلك أسطولنا لم يجرب بعد فلا تصدر فيه حكماً قطعياً ، ثم تتفضلون وتشيرون علي بان أعفو عن ذنب « سريزي » مولاي إن العفو من حق السيد فالعبد لا يملك العفو ولا الإهانة ، فمولاي هو الذي يتولي تربية المذكور وينعم عليه وهو الذي يعفو عنه وإذا تفضلتم وعلمتم ذلك فالامر فيه إلي مولاي .

٢١ محرم سنة ١٢٤٨ الختم

سلام علي إبراهيم

١- يقصد البدو ، وقد سموا في مكان آخر البدويين ، والفرسان البدويين .

٢- رجال المدفعية.

مولاي ولي نعمتي

وفقاً لإرادتكم السنية (سيحرر الكتب إلي مفتين)[١] (وكتب هذه الحاشية الإفادة ذلك)[٢].

الختم

سلام علي إبراهيم

١- هكذا في الأصل وصحتها (ستحرر الكتب إلي المفتيين) .

٢- هكذا في الأصل وصحتها (وكتبت هذه الحاشية للإفادة بذلك) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- اعتماد ابراهيم باشا علي أركان حربه كهيئة استشارية .

- بنا خطة احتلال حلب علي حالة الجيش العثماني بعد معركة حمص . وليس علي موقف أهلها ، ففي حالة الانسحاب المنظم لهذا الجيش لن يستطيع أهل حلب الوقوف أمامهم .. والعكس بالعكس.

- تأكيد ابراهيم باشا لوالده بأن أهل الشام متقلبون ، وأنهم يقفون دائماً مع الجانب المنتصر .

وثيقة رقم (٩)

موضوع الوثيقة : فرح محمد علي بفتح دمشق، وأمره الى ابراهيم باشا بمواصلة فتح حماه وحمص حتى لا يعطى فرصة للجيش العثمانى لجمع وترتيب الصفوف.

تاريخها : ٢٢ محرم ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : مخافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣.

من : الجناب العالى محمد على باشا.

إلى : لجله السر عسكر ابراهيم باشا

حضرة صاحب الدولة والعطوفة والرأفة (والدى) [٢] ذو الهمم العلية فى ليلة الاربعاء الموافق الثانى والعشرين من محرم الحرام الجارى وصلت ورقتكم المتضمنة بشرى فتح الشام (دمشق) فشممنا منها أريج الجنة فاهتزت لها القلوب والمشاعر وشمل رياها كل مكان ورفعت الى الله سبحانه وتعالى الذى من علينا بهذا الفتح آيات الحمد والشكر فبلغت عرشه العظيم. يا بنى سبق ان كتبت اليكم قبل أيام فى مواصلة زحفك الى حلب الشهباء عملا بفحوى المثل القائل : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من الحرارة الآن وقد آن الأوان وبلغ الحديد قوامه فاعمد الى هؤلاء الباشوات المرابطين فى حما وحمص واضف الى اسمائهم عنوان "الفارين" ايضا ثم واصل زحفك مستعينا بالله حتى حلب التى هى الى الاقصى لآمالنا بدون مبالاة بقسوة الصيف وحره واستخدم محوبك [٣] فى امالة الكرد واورفة بما ترونه من الاساليب الملائمة للمصلحة إما

١- الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢م.

٢- هكذا فى الأصل، وصحتها (ولدى)

٣- محو بك من أوائل من أيدوا محمد على عندما صعد القلعة وولى حكم مصر، فأصبح من رجاله المقربين .

بايفادة اليهم أو بانفاذ كتاب منه كما ابلغتم ذلك قبلا وارسل أيضا الى لجلى حسن باشا المقيم بادنه ليوفى بعهده وانا حررنا كتابنا هذا مكتفيا فيه بالاشارة الوجيزة الى ما ذكرناه من الخطط فاننا كتبناه اولا فى نشوة من بشرى الفتح لم تزايلنا بعد وثانيا سبق ان أبلغتم هذه الأمور بالتفصيل فلديكم وقوف تام وعلم شامل لجميع هذه الشئون. ليجعل الله تعالى نصره وتأييده حليفين لك ولمن معك من ابطال نصرنا آمين،

الختم

محمد على

يستخلص من هذه الوثيقة :

- فرحة محمد على بفتح دمشق.

- الأسلوب الذى كان محمد على يصر عليه دائما وهو استمالة الحكام والزعماء قبل أى حركة يقوم بها.

- أن حلب - حتى الآن - كانت الحد "الأقصى" لآمال محمد على.

وثيقة رقم (١٠)

موضوع الوثيقة : استعداد إبراهيم باشا للاستيلاء على حلب.

تاريخها : ٢٨ محرم ١٢٤٨ هـ [1]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥/١٨٠.

من : دولة السر عسكر إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالى محمد على باشا الكبير.

مولاى صاحب الدولة والمرحمة ولى نعمتى من غير من

ورد أمركم العالى المتضمن سروركم القلبى الحاصل من بشرى استيلائنا على الشام ووصاياكم السامية بالقضاء على جيش حمص والزحف الى حلب وفقا للمثل القائل : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من الحرارة وارادتكم الكريمة بايفاد محو بك إلى عشائر الكرد وجهات أورفة وعلمت مضمونه الكريم.

مولاى منذ أن دخلنا الشام شرعنا فى إعداد العدة لحملة حلب كما بسطته فى عريضتى المرفوعة من قبل ولكننا الآن نؤلف جيشا كبيراً أعنى أن جيوش الشام وطرابلس وزحله المؤلفة من سبعة الايات بيادة وستة إلايات سوارى ستجتمع فى صعيد واحد ويعلم مولاى الخديو أن هذا العدد الكبير من الجند يحتاج إلى التموين والمؤن يجب نقلها من البر والنقل البرى ليس كالنقل البحرى يضاف إلى ذلك أن الشاميين اعتادوا منذ سنين كثيرة نقل قوافل الحجاج ولم يسبق لهم أن خدموا جيشاً ضخماً كجيشنا. وخلاصة القول أننى لست أخلو من بذل الجهود والعناية اللازمتى البذل قبل صدور الأمر بدون أن احوج مولاى الى الحث والترغيب بحيث لا يغرب عن بالى فكرة العمل لعدم افلات الفرصة السانحة لطرق الحديد غير ان الحديد معنا

١- الموافق ٢٧ يونيو ١٨٣٢ م.

ليس له ميعاد يفوته باستمرار فهو خام ولست أدرى هل الحديد بمصر موضوع فى الشلج فانه يترامى الينا من شهرين أخبار تفيد أن البدويين سيوافوننا اليوم أو غدا فلم يظهر منهم أى أثر حتي الان مع العلم بان الحاجة اليهم فى هذه الفترة أمس منها فى وقت آخر فعدم وصولهم حتى الآن هو أحد الأسباب التى أخرتنا بعض أيام. اليوم تلقيت كتابا من بريد مصر يقولون فيه أن الالايين البيادة اللذين تفضلتم وابلغتم انهما على قيد الإيصال عن الطريق البحرى لم يغادرا مصر بعد وانى امتثالا لارادتكم السامية سأصحب محو بك وبعد وصولنا الى حلب أوفده الى أورفة واذا تفضل مولاى واحاط علما بذلك فالامر فيه وفى الاحوال كلها الى من بيده الأمر.

الختم

سلامة على ابراهيم

ملحوظة المترجم : ملحق بالوثيقة الاصلية تسويدها ايضا .

يستلخص من هذه الوثيقة :

- نظرا لأهمية حلب فقد أعد ابراهيم باشا عدته للاستيلاء عليها ووضوحاً لأمر والده فقد أرسل رجاله لاستمالة أمراء الشام قبل بدء المعارك.

- شكوى إبراهيم باشا (المتكررة) من تأخر الإمدادات من مصر.

وثيقة رقم (١١)

موضوع الوثيقة : وصف لبعض مادار في معركة حمص .

تاريخها : ٩ صفر ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الإفادة رقم ٥٢.

من : محمد بك [سربوابين أركان عالي] ختمه رب وفق أمور محمد .

الي : ....

حضرة صاحب العطوفة والرأفة أخي الأعز الأكرم .

سبق أن كتبت لعطوفتكم أنني وصلت إلي ولي النعم دولة السر عسكر وبعد ما قمت بالأمورية تفضل فأمرني دولة السر عسكر بأن اتشرف بمرافقته إلي حمص حتي أشاهد بنفسي المعركة التي ستقع هناك بينه وبين الباشوات وأنني بناء علي ذلك مسافر إلي هناك بمعية دولته عملاً بأمره الكريم . وسيعلم من المعروضات المقدمه من الحضرة السر عسكرية أن الحرب وقعت يوم ٩ من شهر صفر الحالي وفي اليوم التالي وهو يوم الأحد تيسر للجيش احتلال حمص وعسكر بها . غير اني أريد أن أشير إلي أني ما رأيت حقاً حرباً تجلت فيها ضروب الشجاعة والبسالة والترتيب والنظام الي أن وصلت إلي هذا السن . فما دام دولته متحليا بهذه الشجاعة العظيمة والتدابير المحكمةفأنني متأكد من أن الهزيمة دائماً هي نصيب العدو بدون أقل شك في كل معركة سيخوضها ضد دولته من بعد الآن في أية جهة كانت هذا واننا قاصدون غداً الأثنين حلب الشهباء في أمان الله وسلامته .

١- الموافق ٨ يوليو ١٨٣٢م.

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن معارك ابراهيم باشا كانت تحسم بسرعة لفارق التنظيم وحسن القيادة ، والتخطيط المسبق لكل معركة .

وثيقة رقم (١٢)

موضوع الوثيقة : الموقف العسكري العام في بلاد الشام بعد معركة حمص.

تاريخها : ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الإفادة رقم ٦٥.

من : دولة ابراهيم باشا :

الي : سامي بك [٢]

حضرة صاحب السعادة والمودة أخي سامي بك .

وصلنا إلي حمص قبل يومين من تاريخ الافادة فوجدنا بها ثمانية باشوات وأربعة الآيات نظامية من البيادة[٣] وثلاثة الآيات نظامية من السواري وجنود باشيبوزوق[٤] زهاء خمسة عشر الف نسمة...... فحملنا علي هذه المجموع حملة عنيفة ودوي في الجو هتافنا قائلين فليحي محمد علي فلم نلبث أن ابدنا منهم عددا كبيرا بفضل صرامة سيف محمد علي وحدة سونكي ابراهيم فغنمنا كافة الجبه خانة والمهمات والخيم والذخيرة والثمانية والعشرين مدفعاً التي كانت معهم وبلغ عدد الجنود المأسورين من النظاميين أكثر من ثلاثة الآف نسمة حتي بدت علي العدو الذي يلازمه النحس علائم الهزيمة والوهن مساء ذلك اليوم

١- الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢ م .

٢- سكرتير محمد علي .

٣- المشاة .

٤- الجنود غير النظامية .

من قصف المدافع والبنادق وصلصلة الرماح والسيوف والحراب فلم يستطع الإحتفاظ بمراكزه في حمص وولت فلول جيشه نحو حما ولكنها لم تستطع كذلك الثبات هناك فانسحب جانب منها بدون انتظام إلي عنتاب والجانب الآخر أيضاً بدون انتظام الي إنطاكية اذن يجب علي الشعب المصري أن لا يتهمنا بالأثم . فها نحن أولاء قد الحقنا الجنة العالية التي تسمي الشام فيما تقدم كما أننا هزمنا العدو الآن والحقنا حمص بالحكومة المصرية وليبلغونا عن رغباتهم وما يطلبون ففي امكاننا أن نقبل الـي اسكدار[1] باستعمال الضرب بالمدافع والبنادق وباستعمال السيوف وضم الأراضي التي نحتلها . فجنودنا ولله الحمد في غاية القوة والمنعة ونحن حليفنا النصر فأي واحد من جنودنا المنصورة بل أقل واحد منهم لا يتأخر عن تضحية نفسه في سبيل شرف شعبه وتحقيق أمنية سيده ويصول علي العدو ويقاتله كأسد الله الغالب[2] وكل فرد منهم يحمر كلون الورد وتفوح رائحته كشذي الورد وعلي كل اسأل الله تعالي أن يطيل بقاء مولانا سنين كثيرة وأن يقر عينيه بفتوحات كثيرة كثيرة كهذا الفتح العظيم .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- فداحة خسائر القوات التركية ، وسوء موقفها بعد المعركة حيث توزع الجنود الفارون بدون انتظام بين حماه وعنتاب وانطاكية .
- فخر أبراهيم باشا بالقوات المصرية .
- أعطي النصر « المؤثر » الأمل للقيادة المصرية لمواصلة زحفها حتي الأستانة ، وكانت حلب من قبل هي أقصي آمال محمد علي.

وثيقة رقم (١٣)

موضوع الوثيقة : تشتت جيش السردار (حسين باشا) بعد معركة حمص وأثر ضم حلب الي الحكومة المصرية .

تاريخها : ١٩ صفر ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة العريضة رقم ١١١.

من : دولة ابراهيم باشا :

إلي : جناب الخديوي .

مولاي حضرة صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي الذي ينعم ولا يمن بما أنعم .

لقد قضي علي جيش حمص وتيسر تشتيت جيش السردار ثم احتلال حلب الشهباء والاقامة فيها فتم بذلك الحاق ممالك – عربستان [٢] كلها الي الحكومة المصرية كما سيطلع مولاي من التقارير التي رفعت اليه في هذا السبيل وقد علمنا من أمركم الكريم الوارد أخيراً أنه يجب الوقوف في حلب وعدم التخطي الي الامام ففهمنا من ذلك أنه يراد أن تمضي الشتاء في حلب غير أن الجيش (مستعداً) [٣] لانه مازال يلبس ملابس الصيف ولم يأخذ معه إلي هنا ملابسه الشتوية فإذا كان المقصود من هذا الوقوف في حلب تمضية الشتاء فيها حقيقة كما فهمنا فإني أرجو مولاي أن يتكرم بإشعاري سريعاً وبعزمه الصادق في هذا الشأن حتي إذا كان المراد تمضية الشتاء هنا يعلم به في الوقت المناسب ويبادر إلي تهيئة ثكنات لاقامة الجيش فيها وعلي كل حال فالأمر لمولاي ،

١- الموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢ م .

٢- أي الممالك العربية.

٣- وردت هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (ليس مستعداً) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- لم تكن نتيجة معركة حمص خضوعها مع حلب لمحمد علي ، وإنما – أيضاً تشتيت جيش السردار ، وانفتاح الطريق إلي الآستانة .

وثيقة رقم (١٤)

موضوع الوثيقة : مطاردة إبراهيم باشا لفلول جيش السردار بعد معركة حمص .

تاريخها : ٢١ صفر ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١.

من [٢] : ....

الي : سامي بك .

إلي صاحب السعادة أخي سامي بك .

سبق أن أبلغتكم تفصيل المعركة التي دارت في حمص مع محمد باشا والي حلب وكان النجس[٣] حسين باشا الذي يسمونه السردار وصل وقتئذ إلي شفور ولما بلغه نبأ الهزيمة توجه إلي حلب مع بعض الجنود المتفرقه المتخاذلة التي في معيته ولكنني تعقبتهم كالجلاد دون أن أدع لهم فرصة للتنفس حتي وصلت إلي مكان يسمي « تل السلطان » ويقع علي بعد اثنتي عشرة ساعة من حلب ولم يكد يسمع حسين باشا نبأ وصولنا إلي الموضع المار الذكر مع القوه القاهرة المصرية والجنود الجهادية الباسلة حتي ترك مالديه من الثمانية مدافع والمهمات والذخائر الحربية والخيم أعني أنه فك قلسه [٤] كما يفك ملاحو البحر الاسود اللاز [٥] قلوس سفنهم وفر من جبل إلي جبل ومن زاوية إلي اخري ونشيده : « أين المفر » ووجهته انطاكية واني

١- الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م .

٢- إبراهيم باشا

٣- هي ترجمة « مردار » ولعله اختار هذه الكلمة لمراعاة السجع بينها وبين « السردار » .

٤- سبق التعريف بها .

٥- واللاز جيل يسكن في ساحل البحر الاسود يشتغلون بالملاحة ومنهم محمد بك لازاوغلو (المترجم) .

سيرت فوراً من خلفهم أحمد أغا الولي [١] أغا القرغوش في بعض فرسان ولما وصل حسين باشا إلي انطاكية أدرك جنوده البوستانجية التي فيها وهم آلايان أنه سيزرع الخيار في بستانهم ففر كل منهم إلي جهة وهلك معظمهم في القري والجبال من الجوع والعطش وقد رخصت جنود الترك حتي نزلت قيمة كل ثمانية منهم الي فلس واحد واما نحن فقد استولينا علي حلب واقمنا بها كالاسكندر تحفنا مظاهر الأبهة والعظمة وأخذنا نسن سيوفنا ورماحنا وقد طأطأ العدو المنحوس رأسه أمام سيف محمد علي البتار ورمح إبراهيم قائلاً : « آمنا وصدقنا » هذه هي الأعمال التي قمنا بها حتي الآن وأبلغنا كموها وإذا حدث شيء بعد ذلك نبلغكموه أيضاً.

صفر سنة ٢٤٨

الختم : سلام علي ابراهيم

١- الترجمة الحرفية لكلمة « ولي » مجنون وهي تطلق في عرف الترك علي الشجاع الذي لا يهاب الموت (المترجم) .

٢- هم صنف من الجنود كانت مهمتهم حراسة القصر السلطاني (المترجم) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن هزيمة الأتراك في حمص تمت قبل وصول جيش السردار إليها.
- أن إبراهيم باشا لم يعط جيش السردار فرصة للاستقرار في مكان.

وثيقة رقم (١٥)

موضوع الوثيقة : مفتي حلب يبدي سروره بإلحاق حلب بحكومة محمد علي .

تاريخها : بدون (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ١٥ بحريرا . ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠.

من : السيد احمد جابري زاده مفتي حلب .

الي : الجناب العالي .

يعرض أدعية كثيرة للجناب العالي ثم يقول إن السرور قد شمله وشمل العالم بإلحاق حلب الشهباء بحكم دولته ويلتمس شموله بالعطف وأن يكون هذا الإلحاق باعثاً لرفعة شأنه .

١- المرجح أن يكون بعد ١٨ صفر ١٢٣٨ هـ، الموافق ١٧ يوليو ١٨٣٢م .

يستخلص من هذه الوثيقة :

- أنه بضم حلب تأكد لأمراء الشام أن موقفهم الصحيح سيكون مع محمد علي .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : قصيدة فى مدح إبراهيم باشا وانتصاراته.

تاريخها : ٢٤جماد الأول ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٩ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٠٤.

من : يوحنا بحرى.

إلى(٢) : ....

يعرض أن الشيخ أمين الجندى الشاعر المشهور فى حمص قدم اليه قصيدة غراء فى مدح إبراهيم باشا وشارحاً خروجه من المحروسة ووصوله الى سوريا وحربه مع الترك وانتصاره عليهم طالبا تقديمها للعتبات العاليه وأن المذكور يأمل شموله بالعناية.

وان الجنراك الروسى السائح وصل الى الشام وكتب كتابا إلى وكيله فى الأسكندرية وطلب منه ارسال الخطاب والاتيان بالرد عليه وطلب ارسال ذلك الكتاب واستحضار الرد ؟

١ـ الموافق ١٩ أكتوبر ١٨٣٢ م.

٢ـ يرجح أن يكون للجناب العالى أو سكرتيره.

يستخلص من هذه الوثيقة :

- أن الأمور قد دانت لمحمد على وابنه فى بلاد الشام، وأن أهل الشام قد أصبحوا فى جانب محمد على.

الملحق الرابع

وثائق خاصة بادارة بلاد الشام
أثناء حروب الشام الأولى

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : طلب مندوب لحكم الشام أثناء توغل إبراهيم باشا في الأناضول .

تاريخها : ٢٣ صفر ١٢٤٨ هـ [١].

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٤.

من : جناب السر عسكر .

الي : الجناب العالي .

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي المنعم .

قد احطت بمضمون أمركم دولتكم الذي ذكرتم فيه عدم ضرورة إرسال مأمورين الي ولايتي الشام وصيدا وسألتم عن المحذور الذي حملني علي ، إشعاركم بهذا الشأن فانه لمن المسلم لدي الواقفين علي الحقائق كافه ولدي مولاي المصروفة همه القالعة الجبال إلي توسيع الملك والبلاد خاصة ما يترتب من المحاذير علي مثل تلك البلاد الجسيمه التي فتحت لو تركت بدون حكام ولا سيما أن إدارة البلاد إنما تحصل بوجود الرجال وأن توسيع البلاد لا تنتج فائدة مالم توجد هاتان المقدمتان اللتان هما في حكم اللازم والملزوم كما أن دولتكم كنتم ذكرتم حين ندبت إلي هذه الديار انكم سترسلون مأمورين إذا دخلت الشام في قبضة تسخيرنا . ولكن قد اتضح من مضمون أمركم السامي أن إعراضكم عن هذه المسألة بالتسويف ذاكرين قحط الرجال تارة سائلين عن المحذور الذي فيها تارة أخري إنما نشأ عما خطر ببال دولتكم أن المأمورين الذين سيرسلون لن يأمنوا مداخلة خادمكم هذا مادمت موجودا في هذه الديار فتبين أن هذا الأمر أجل إلي ما بعد انقضاء شواغل الحرب وانقطاع علاقة هذه الديار عن خادمكم هذا مادمت موجوداً في هذه الديار . ومع هذا كله فان عبدكم هذا لما كنت خالي المذاق بتاتا من

١- الموافق ٢٢ يوليو ١٨٣٢ م.

جميع لذات الدهر إذ ألفت منذ حداثة سني معالجة السفر الذي هو قطعة من السقر قد كنت اخليت دماغي قطعاً وقاطبة من مثل تلك الآمال والأماني حتي أني كنت صممت إذ كنت بالمورة أن اللازم زاوية الفراغ مدة لو تم ذلك السفر وفق المرام كما كنت أطلعت خادمكم سامي بك وباقي أفندي علي هذه النية وأنهما ليعلمان هذه الحقيقة ولكن السفر المذكور قد انقلب وانعكس بمقتضي (الصورة التي علي بها القدر يعد لنا في تلك الأيام)[1] من تلك الامنية وأجلناها إلي وقتها المرهون أما سفرنا في الحالة الحاضرة فهو سفر من أجل المحافظة علي كياننا القومي وتقضي الانسانية علي المرء بأن يفدي قومه وقبيلته برأسه وروحه فمن أجل ذلك عضضنا علي أرواحنا بالنواجز وجمعنا قواتنا وحصرناها في ساعدنا وحبسنا أنفسنا بكل اهتمام علي إرغام أنوف المخالفين وأزلنا غوائل عكا وحمص والسردار ودخلنا حلب التي هي منتهي مهمتنا وانتدابنا كما اتضح ذلك من أمر آخر لدولتكم وبلغنا أمانينا بعون الحق جل وعلا، فإن أوان حصول تلك الامنية التي كانت عالقة بخاطري منذ سنين عديدة ولم يبق بهذه الملابسة محل للملاحظات التي خطرت علي بال دولتكم في ذلك الشأن فلدولتكم الخيار في تنفيذ ما تكنونه في ضميركم فتولون من تشاؤون علي ولايات صيدا والشام وحلب وتندبون لها رجالا إما من هناك وإما من هنا . أما عبدكم هذا فقد ظللت منذ ثمانية وعشرين عاما أجول وأتوغل في الصحاري والبراري تاركاً اللذات الدنيوية كلها علي الوجه الذي قدمت غير ملتفت الي الشتاء ولا الي الحر والزمهرير ولا مبال بنومي علي الصخور والاتربة ولست مهتما بحقوق النفس والبدن وقد جاوز سني حد الأربعين وتعلمون دولتكم أن المرض الذي أصابني في العام الماضي قد أورثني خوارا وهزالا وجعلني أشد حاجة إلي الهدوء والراحة والتداوي مدة . فأرجو وألتمس من دولتكم أن تعفوني مدة سنتين عن مباشرة الأمور ملكية كانت أو عسكرية

١- يشير إلى تدخل الدول الأوروبية في حروب المورة بما لم يشته محمد علي ولا ابنه إبراهيم .

وتأذنوا في تقوية البدن وتحصيل العافية تارة بدخول (حمات) [١] الطبرية وتارة بالإقامة في مصايف بر الشام اللطيفة كمصيف بعلبك الذي اشتهر بجودة هوائه وأن تفرضوا امور الجيش الى من ترونه جديراً بالقيام بها وقد تهجس في صدر دولتكم هواجس ملهمة من موقفي هذا أن تقولوا لقد فتح قلعة اشتهرت في الافاق مثل قلعة عكا واستولي علي ولايتين يحق للملوك ان يحسدوهما وهما ولايتا الشام وحلب وأباد جيشي حمص والسردار بحملة واحدة فآن له أن يغتر بذلك . ولكنني أقسم بحق الله تعالي وبحرمة رأس دولتكم أني لم يخطر بخلدي مثل هذه الافكار أولاً وأخيراً غير أن أعصابي وقواي قد اختلت بطول أمد المسير وتعاقب الأمراض الشديدة فاضطررت إلي تقديم هذا الالتماس. ومن الدليل الواضح علي صدق مدعاي أني قلت هذا قبل فتح عكا غير مرة فارجو من دولتكم أن لا تلتفتوا إلي مثل هذه (الهواجيس)[٢] أبداً هذا هو أجل ما أضرع به إلي أعتاب دولتكم . وعندما تحيطون بذلك علما يكون الأمر لحضرة مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي النعم الدائمة ،

الختم

سلام علي ابراهيم

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (حمامات) .

٢- هكذا في الأصل ، وصحتها (الهواجس) .

يستخلص من هذه الوثيقة : ـ

- إلحاح ابراهيم باشا لإرسال مندوب من قبل محمد علي لحكم بلاد الشام حتي يتفرغ هو للسر عسكرية .

- تسويف محمد علي في إرسال المندوب خشية أن يتدخل إبراهيم باشا في عمله .

- إبعاد إبراهيم باشا هذه الفكرة عن ذهن والده ، متعللاً باعتلال صحته ، وخلو مذاقه بتاتاً من جميع لذات الدهر .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : الحاج إبراهيم فى طلب مندوب لحكم الشام بعد رفض الأمير بشير الشهابى.

تاريخها : ٢٩ ربيع الأول ١٢٤٨ هـ [١]

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٥٦.

من : دولة السر عسكر إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالى.

يشير إلى كتابه السابق الذى إلتمس فيه تعيين حاكم كفء للبلاد الشامية التى تم فتحها وإرساله إليها على جناح السرعة ليقوم بأدارتها وإلى عدم وصول الحاكم المطلوب حتى الآن ثم يقول : ها نحن أولاء يا مولاى زاحفون الى أدنه ولا يمكننى أن أقوم بأدارة البلاد المذكورة لبعد الشقة بينها وبين أدنه من جهة ولكثرة ما على من الأعمال العسكرية من جهة أخرى وإننى لذلك أصدرت الى الخواجه حنا[٢] المقيم بعكا أمرا بأن يتوجه إلى البلاد المشار إليها ليتولى إدارتها مؤقتا ريثما يصل الحاكم وكنت عرضت على الأمير بشير أن يقوم بهذه المهمة فاعتذر مولاى: أنظر إلى الخريطة تر أن هذه البلاد المفتوحة من السعة والجسامة بحيث لا أستطيع أنا القيام بأدارتها مع ما على من الأعمال العسكرية وأرى أنه لا يقوم بهذه المهمة من أتباعكم سوى البك كتخداكم (وكيلكم)[٣] لذلك أرجو أن ترسلوا سعادته على جناح السرعة ليتولى إدارة شئون البلاد المشار إليها لكيلا تتعطل المصالح.

١- الموافق ٢٦ أغسطس ١٨٣٢م.

٢- سبق التعريف به.

٣- هو شريف بك (باشا فيما بعد) وكيل محمد علي وحاكم الصعيد.

يستخلص من هذه الوثيقة :

- بعد رفض الأمير بشير الشهابى حكم الشام أصدر إبراهيم باشا أمره بأن يتولى يوحنا بحرى هذا المنصب لحين وصول مندوب من قبل محمد على.

الملحق الخامس

وصف «كروكي» * لأهم معارك حروب الشام الأولى

١- معركة حمص

٢- معركة بيلان

٣- معركة قونية

---

* من عمل الباحث .

موقعة حمص رقم ١

انتصر الجيش المصرى على الجيش التركى فى هذه الواقعة فى ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م وكانت قوة الأول فيها نحو ٣٠٠٠٠ جندى و ٤٤ مدفعا وقوة الثانى نحو ٢٥٠٠٠ جندى و ٤٧ مدفعا

الجيشان المصرى والتركى فى بدء تعبئتهما استعداداً للقتال كانا بالنظام الآتى : ـ

الجيش المصـــــــرى

الصف الأول : ٣ آلايات بيادة : ١٢ جى بيادة (نمرة ٧) و ١٣ جى بيادة (نمرة ٩) و ١٩ جى بيادة (نمرة ١١) ، آلايان من السوارى : ٢ جى سوارى (نمرة ٢٩) و ٥ جى سوارى (نمرة ٢٧) ٣ بطاريات : (الفر ٤١ و ٤٣ و ٤٥) .

الصف الثانى : ٣ آلايات بيادة : آلاى الفاورديا (نمرة ١) و ٥ جى بيادة (نمرة ٣) و ١١جى بيادة (نمرة ٥) ، آلايان من السوارى : ٤ جى سوارى (نمرة ٢٥) و ٧ جى سوارى (نمرة ٢٣) .

الصف الثالث : ٤ بطاريات : (الفر ٣٧ و ٣٣ و ٣١ و ٣٩) ، هاوتان (نمرة ٣٥) ، مهمات الجيش (نمرة ٣٧) .

الصف الرابع : آلاى واحد بيادة : ٨ جى بيادة (نمرة ١٣) ، بلوكان من البيادة : (نمرتا ١٥ و ١٧) ، آلايان سوارى : ٣ جى سوارى (نمرة ٢١) ، و ٦جى سوارى (نمرة ١٩) ، البدو .

الجيش التـــــــركى

الصف الأول : ٤ آلايات بيادة : (الفر ٨ و ٦ و ٤ و ٢) أمام كل أورطة مدفع .

الصف الثانى : آلايان من البيادة : (نمرتا ١٢ و ١٠) أمام كل أورطة مدفع ، آلايان من السوارى : (نمرتا ١٤ و ١٦) أمام كل آلاى منهما مدفعان ، سوارى غير نظامية : (نمرة ٢٦) .

الصف الثالث : آلاى سوارى : (نمرة ١٨) ، أورطتان من السوارى : (نمرة ٢٠) ، سوارى غير نظامية : (نمرتا ٢٤ و ٢٢) ، مدفعية : (نمرة ٢٨) .

هذه الخريطة استخرجها سمو الأمير عمر طوسون من خريطة أركان حرب الجيش المصرى المنشورة فى كتاب « تاريخ حرب محمد على والباب العالى العثمانى فى سورية وآسيا الصغرى من سنة ١٨٣١م إلى سنة ١٨٣٣م » تأليف كادالفين وبارو طبع باريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémed-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadalvène et Barrault, Paris, 1837.

موقعة حمص ٢

موقعة بيلان رقم ١

انتصر الجيش المصرى على الجيش التركى فى هذه الواقعة فى ٣٠ يوليو سنة ١٨٣٢م وكانت قوة الأول فيها نحو ١٧٠٠٠ جندى و ٢١ مدفعا وقوة الثانى نحو ٢١٠٠٠ جندى و ٢٧ مدفعا

الجيشان المصرى والتركى فى بدء تعبئتهما استعداداً للقتال كانا بالنظام الآتى :

الجيش المصـــــــرى

الصف الأول : ٤ آلايات بيادة : آلاى الغارديا (نمرة ١) و ٨ جى بيادة (نمرة ٣) و ١٨ جى بيادة (نمرة ٥) و ١٣ جى بيادة (نمرة ٧).

الصف الثانى : ٣ آلايات سوارى : ٢ جى سوارى (نمرة ١١) و ٤ جى سوارى (نمرة ١٣) و ٥ جى سوارى (نمرة ١٥) ؛ مهمات الجيش (نمرة ١٧) ؛ مدفعية (نمرة ١٩).

الصف الثالث : بلوكان بيادة (نمرة ٩) .

الجيش الـــــــتركى

وسط الجيش : مكون من ١٢ أورطة بيادة مصطفة بشكل طابور (نمرة ٤) وأمامها بطاريتان (نمرتا ١٦ و ١٤) وأمام هاتين البطاريتين آلايان سوارى فى المقدمة (نمرتا ٨ و ١٠) .

الجناح الأيمن : ٦ أورط بيادة مصطفة بشكل طابور (نمرة ٢) وبطارية (نمرة ٢٢) بينها وبين الـ ١٢ أورطة التى فى وسط الجيش .

الجناح الأيسر : ٥ أورط بيادة مصطفة بشكل طابور (نمرة ٦) وخلفها بطارية (نمرة ١٨) .

هذه الخريطة استخرجها سمو الأمير عمر طوسون من خريطة أركان حرب الجيش المصرى المنشورة فى كتاب «تاريخ حرب محمد على والباب العالى العثمانى فى سورية وآسيا الصغرى من سنة ١٨٣١م إلى سنة ١٨٣٣م» تأليف كادالفين وبارو طبع باريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémed-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadalvène et Barrault, Paris, 1837.
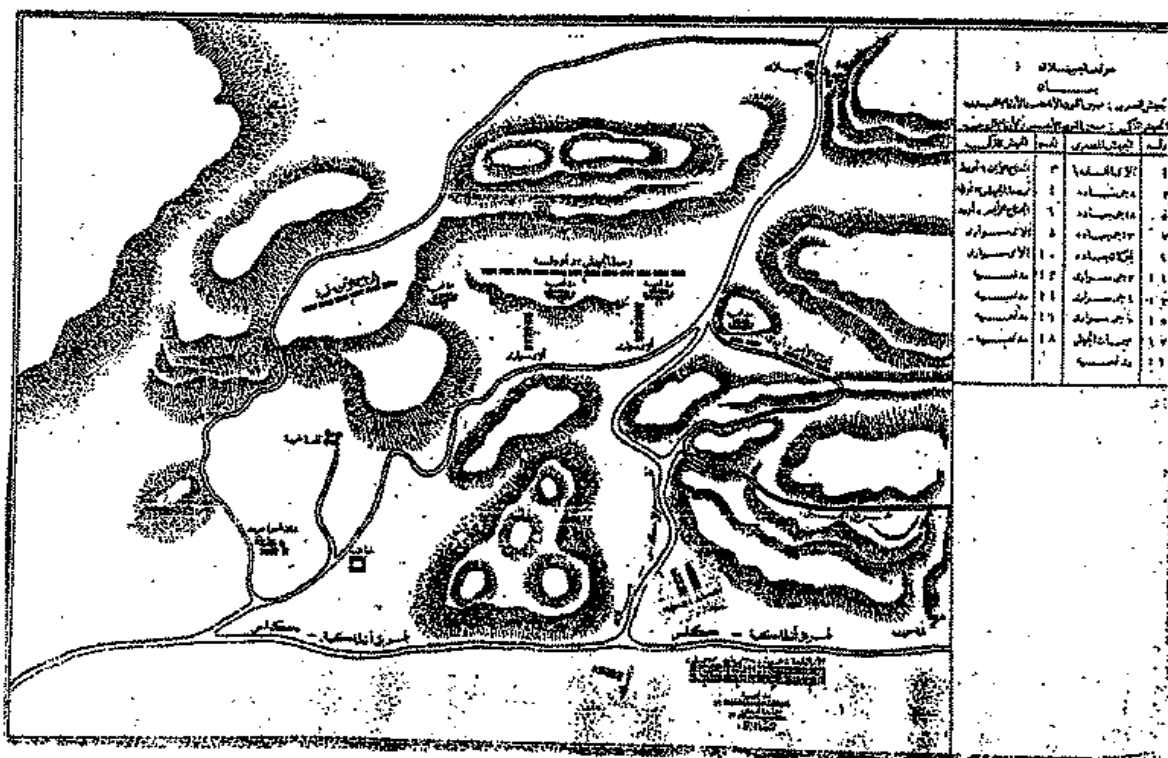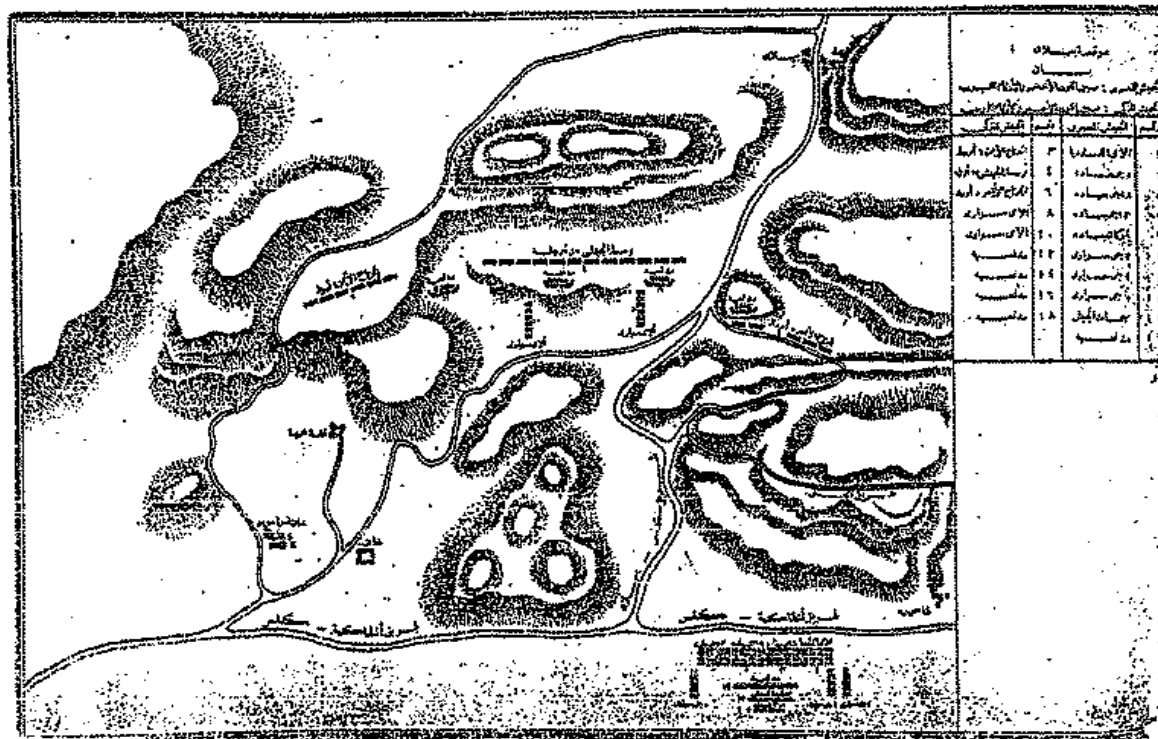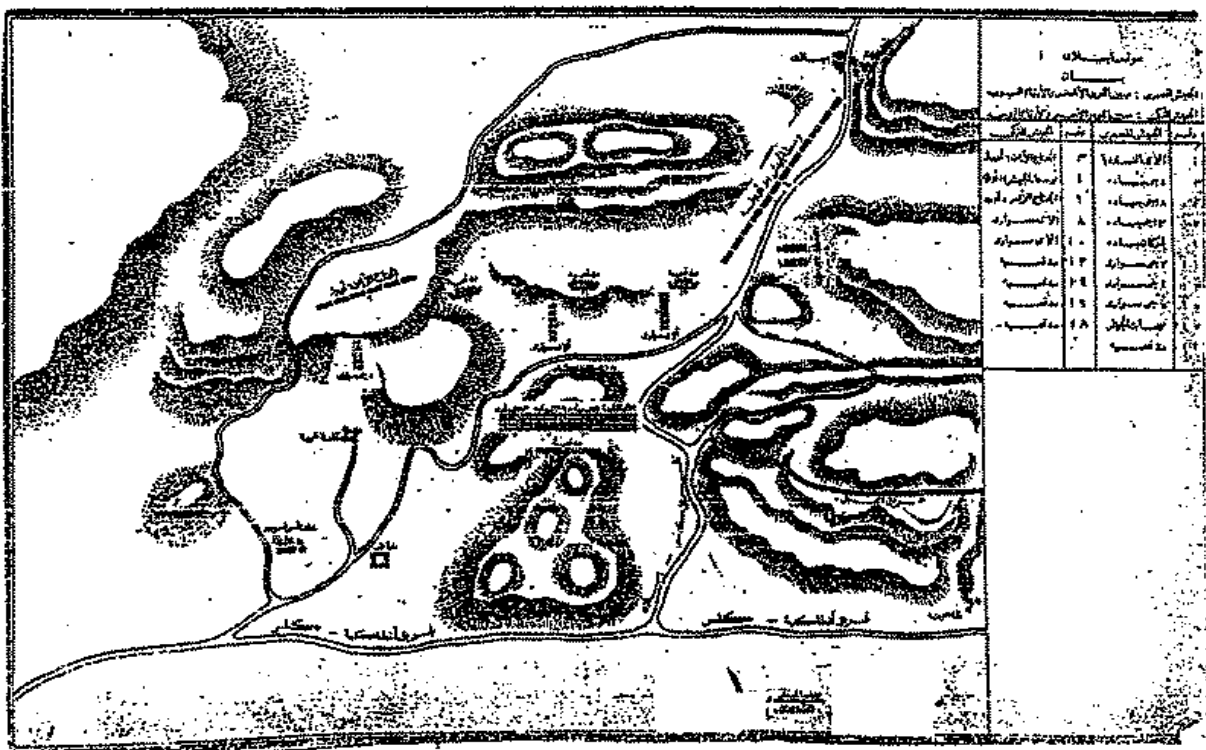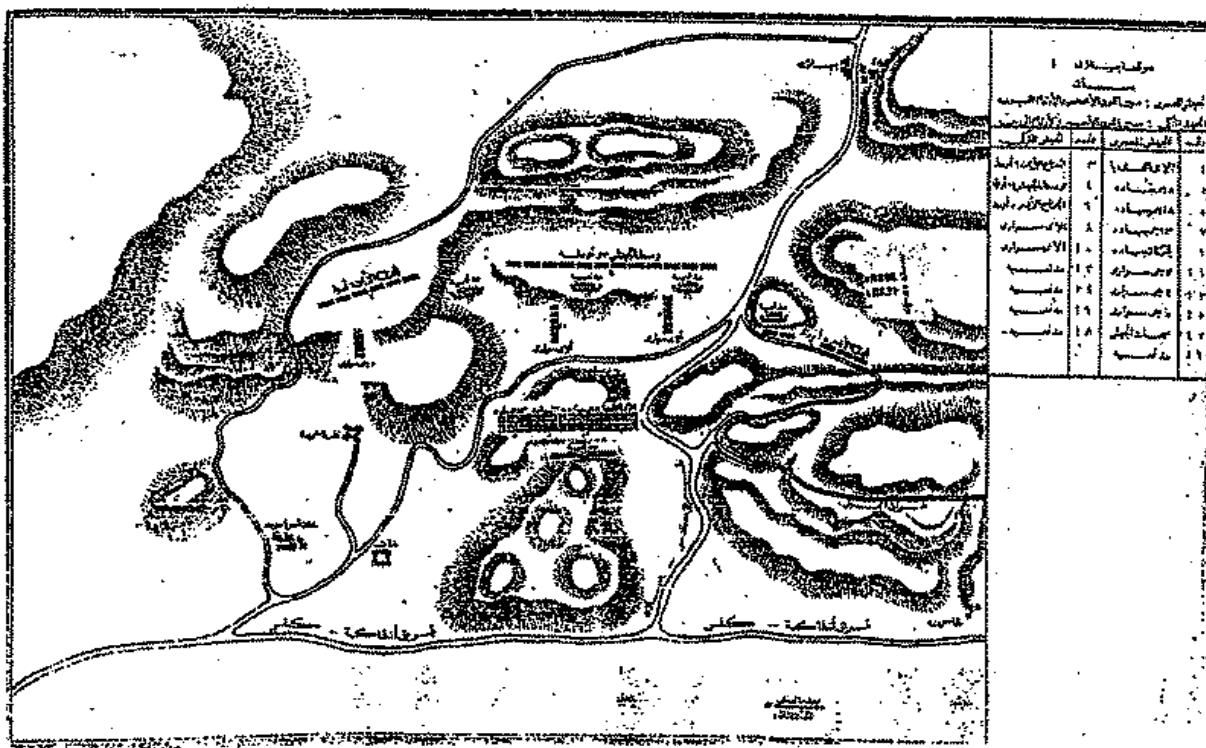
موقعة قونيه رقم ١

انتصر الجيش المصرى على الجيش التركى فى هذه الواقعة فى ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢م وكانت قوة الأول فيها نحو ٢٢٠٠٠ جندى و ٣٦ مدفعا وقوة الثانى نحو ٣٠٠٠٠ جندى و ٤٠ مدفعا

الجيشان المصرى والتركى فى بدء تعبئتهما استعداداً للقتال كانا بالنظام الآتى :

الجيش المصرى

الصف الأول : ألاى ١٣ جى پيادة فى النقطة رقم (٥) . وألاى ١٨ جى پيادة فى النقطة رقم (٩) . وبطارية فى النقطة رقم (١٩) فى أول هذا الصف . وأخرى فى النقطة ٢١ فى وسطه . وثالثة فى النقطة رقم (٢٣) فى آخره .

الصف الثانى : ألاى ١٢ جى پيادة فى النقطة رقم (٣) . وألاى ١٤ جى پيادة فى النقطة رقم (٧) . وبطاريتان فى النقطتين رقم (٢٥ و ٢٧) فى وسطهما . (ويلاحظ أن ألاى ١٢ جى پيادة تقدمت منه أورطة هى ١ جى طه فى النقطة رقم (٣) ؛ وأن ألاى ١٤ جى پيادة تقدمت أيضا منه أورطة هى ١ جى طه فى النقطة رقم (٧) . وكان الصف الثانى فى بدء تعبئة الجيش للمحاربة على مسافة ٢٠٠ خطوة خلف المكان الذى هو فيه الآن ولانتشار الضباب وتساقط قذائف العدو وإصابتها له أمر بتقدمه إلى هذا المكان) . وألاى الغارديا فى النقطة رقم (١) وخلفه بطارية فى النقطة رقم (٢٩) . و لواء ٢ جى سوارى المكون من ألاى ٢ جى سوارى فى النقطة رقم (١٣) ومن ألاى ٤ جى سوارى فى النقطة رقم (١٧) . و لواء ١ جى سوارى المكون من ألاى ١ جى سوارى فى النقطة رقم (١١) ومن ألاى ٣ جى سوارى فى النقطة رقم (١٥) .

الجيش التركى

الصف الأول : ثلاثة آلايات پيادة فى النقط رقم (٢ و ٤ و ٦) وعلى يمينها آلايان من السوارى فى النقطتين رقم (١٦ و ١٨) وعلى يسارها فى الجناح الأيسر بمسافة آلايان آخران من السوارى فى النقطتين رقم (٢٤ و ٢٦) .

الصف الثانى : آلايان من البيادة فى النقطتين رقم (٨ و ١٠) . وعلى يسارهما ألاى من السوارى فى النقطة رقم (٢٢) . وعلى يمينهما بمسافة ألاى سوارى آخر فى النقطة رقم (٢٠) .

الصف الثالث : ألاى پيادة فى النقطة رقم (١٢) .

الصف الرابع : ألاى پيادة فى النقطة رقم (١٤) . والمدافع التركية مفرقة أمام الصفوف باعتبار أربعة مدافع لكل ألاى پيادة ومدفعين للألاى السوارى .

هذه الخريطة استخرجها سمو الأمير عمر طوسون من خريطة أركان حرب الجيش المصرى المنشورة فى كتاب «تاريخ حرب محمد على والباب العالى فى سورية وآسيا الصغرى . من سنة ١٨٣١م إلى سنة ١٨٣٣م» تأليف كادالفين وبارو طبع باريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémet-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadalvène et Barrault, Paris, 1837.

موقعة قونيه رقم ١

موقعة قونية رقم ١
بيان
الجيش المصري : مبين باللون الأخضر والأرقام الفردية
الجيش التركي : مبين باللون الأحمر والأرقام الزوجية
رقم
الجيش المصري
رقم
الجيش التركي
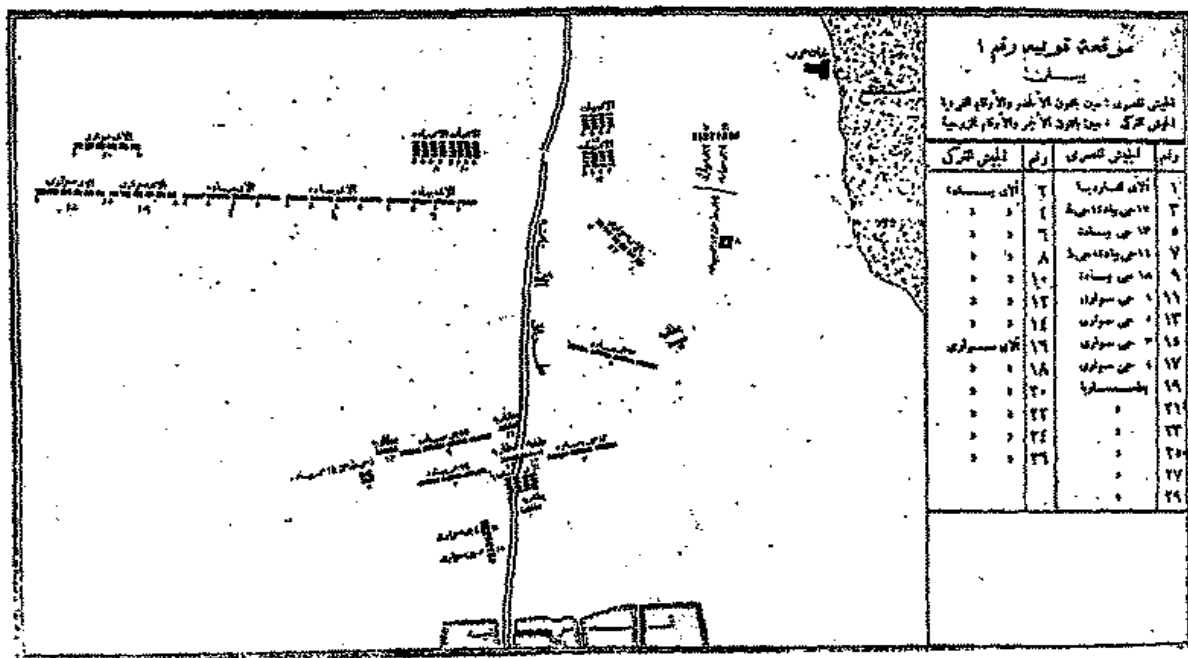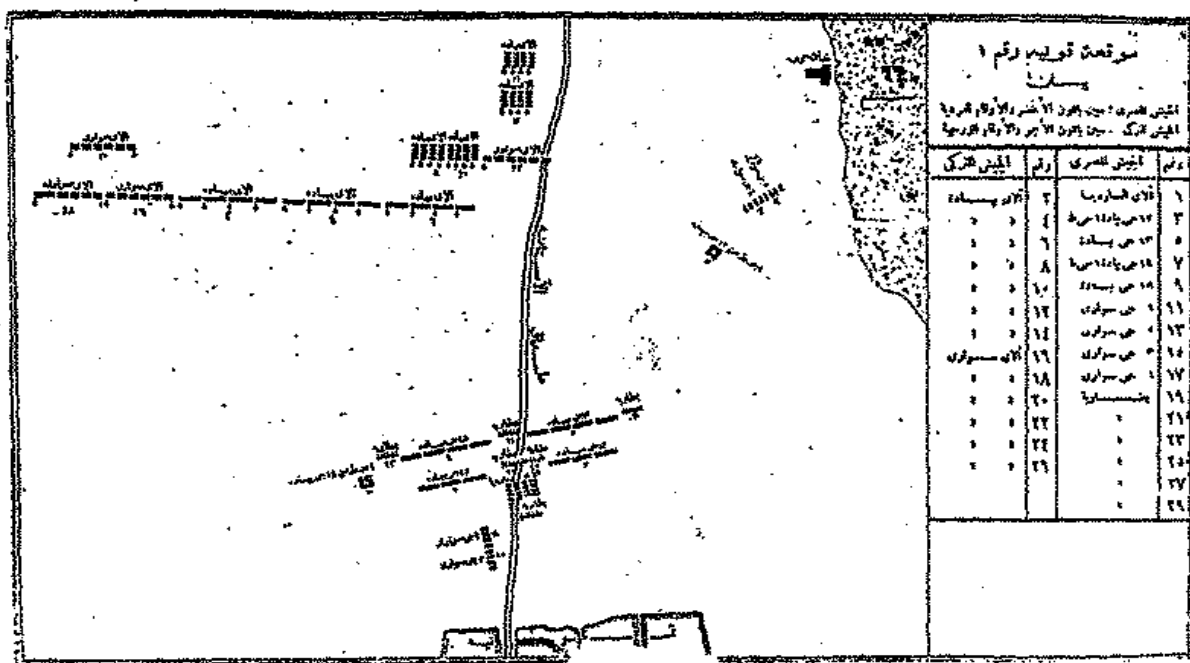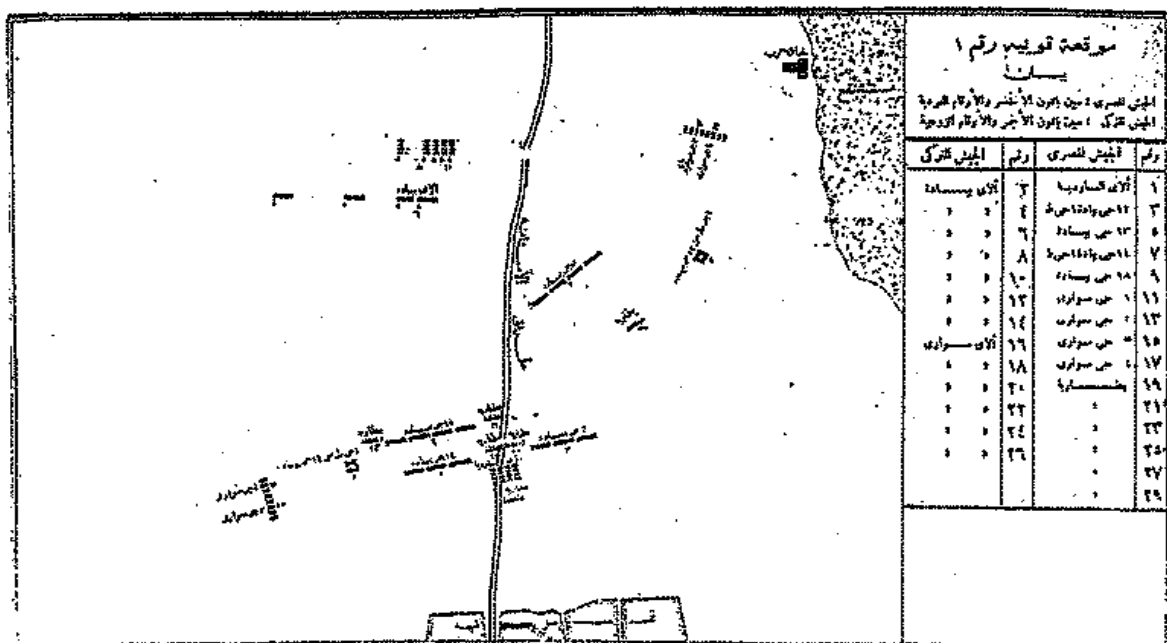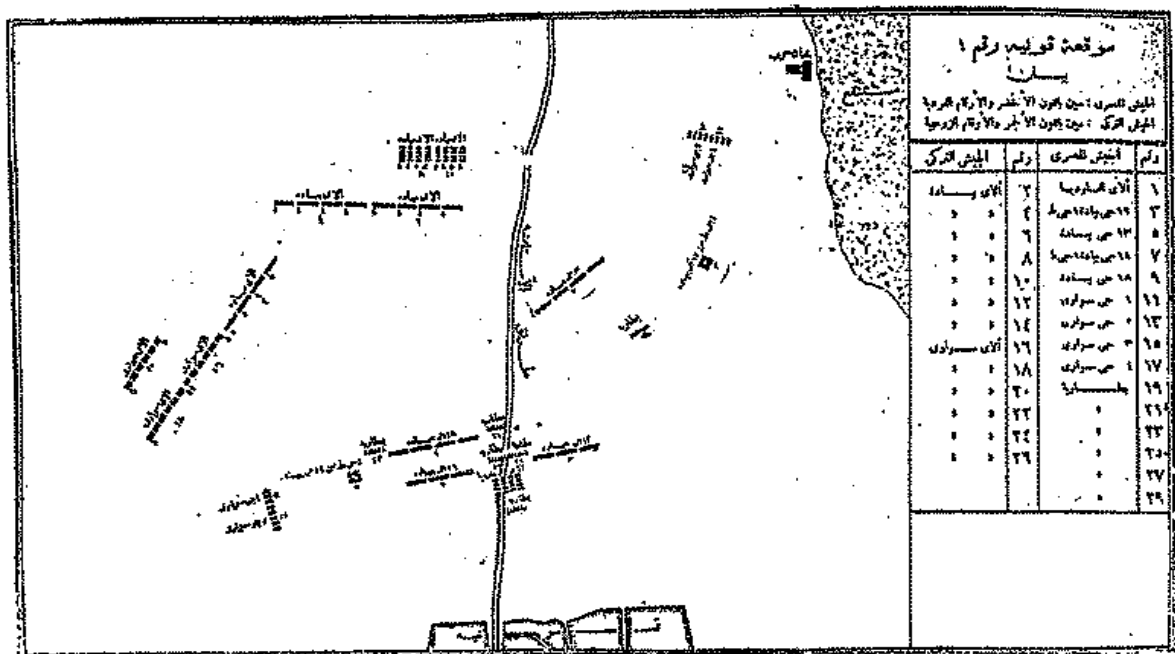
خاتمــة

من العرض السابق - في ضوء وثائق عابدين - تتضح أهمية الشام لمحمد علي كمقابل لما قدمه للدولة العثمانية، أو استكمالا لمشروع دولته - أو مشروع ابنه القومي - والذي تبلور مع الموقف نتيجة ضعف الدولة العثمانية . هذا الضعف الذي اتضح بالنسبة لمحمد علي منذ البداية ، حيث فشلت الدولة العثمانية في زحزحته من مصر ، فانطلق بامكانياتها أولا، ثم برجالها ثانيا ، ليعبر بلاد «عربستان» إلي بلاد الأناضول ، مهددا العاصمة العثمانية.

علي أننا لابد أن نقرر أن الأمر لم يكن سهلا تماما أمام محمد علي وابنه إبراهيم ، فقد صادفتهما صعاب عدة، بدءا بصلابة قلعة عكا ورجالها ، إلي تلون أهل الشام ، إضافة إلي المقاومة العثمانية المتوالية والكثيفة وإن لم تكن عنيفة.

وإذا كان إبراهيم باشا قد تغلب علي مقاومة الحصار بالإصرار ، وعلي تلون أهل الشام بتلون مماثل ، فإنه تغلب علي «الكم» العثماني ، «بالكيف» المصري ، الذي أشيد به في الوثائق أيما إشادة سيما من القائد .

أيضا ، بان من الدراسة ، ذلك الصراع المتناغم - ونادرا ما يكون الصراع كذلك - بين السياسي والعسكري .. أو بين محمد علي وابنه إبراهيم .. وتزول الغرابة إذا عرفنا أن الاختلاف كان في التكتيك وليس في الاستراتيجية.

أما الصراع المتفاقم بين المتنمرين «بالفريسه» العثمانية ، فقد زاد أوارا بعد أن عبر محمد علي (بقواته) حدود الممكن ، وكانت حلب أقصي طموحاته - كما بينت الوثائق - فإذا بالطريق تنفتح أمامه إلي الأستانة .. فكان ما كان من هلع العثمانيين لمقدم محمد علي .. وهلع الروس أن يسبقهم محمد علي .. وهلع انجلترا وفرنسا وقد سبق الروس بقواتهم إلي الأستانة .. فكان صلح كوتاهية .

وبعدها نرصد عدم رضا من كل الأطراف فقد انهزم السلطان ، ولم يحقق محمد علي استقلاله ، كما تضايقت انجلترا وفرنسا من تفوق النفوذ الروسي - إلي حين - في حين لم يحكم الروس قبضتهم علي الأستانة – نتيجة تدخل انجلترا وفرنسا - وانسحبوا بعد قليل . فهل كان عدم الرضي هذا هو الذي فجر الموقف وعجل بحروب الشام الثانية ؟

نعتقد ذلك!

ثبت المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

(أ) وثائق غير منشورة

- محافظ بلاد الشام

محافظ أرقام ٢٣- ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧.

- محافظ بحر برا

محافظة أرقام ١٤ ، ١٥.

(ب) وثائق منشورة

ثانيا : المصادر والمراجع :

(أ) مصادر ومراجع عربية :

١- أحمد صادق سعد : تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلي النمط الرأسمالي . دار الحداثة ، بيروت ١٩٨١ .

٢- ادوار جوان : مصر في القرن التاسع عشر ، تعريب محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢١ .

٣- أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية . بيان بوثائق الشاعم . المجلد الأول ١٨١٠ - ١٨٣٢ ، بيروت ١٩٤٠.

٤- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، المطبعة الأميرية . القاهرة ١٣١٢ هـ.

٥- عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٨٩.

٦- عبد الرحمن زكي : حملة الشام الأولي والثانية ، بحوث الجمعية الملكية للدراسات

التاريخية في ذكري البطل الفاتح إبراهيم باشا مكتبة مدبولي ١٩٩٠.

٧ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولي . دار الكتاب الجامعي . القاهرة ١٩٨٧ .

٨ـ عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية . دولة إسلامية مفتري عليها . القاهرة ١٩٨٠ (٤ أجزاء).

٩ـ عبد المنعم الجميعي : الجيش المصري وفتح عكا . القاهرة ١٩٨٧ .

١٠ـ عمر طوسون (الأمير) : صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي . الجيش المصري البري والبحري . مكتبة مدبولي . القاهرة ١٩٩٦.

١١ـ عمر عبد العزيز عمر : تاريخ مصر الحديثة والمعاصر . دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٣.

١٢ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين . ترجمة كمال اليازجي. بيروت ١٩٥٩.

١٣ـ لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في الشام ١٨٣١ ـ ١٨٤١ ، القاهرة ١٩٨٣.

١٤ـ محمد رفعت : تاريخ مصر السياسي . المطبعة الأميرية . القاهرة ١٩٣٩.

(ب)المراجع الأجنبية :

1- Crawley, C. W : The Mediterranean, The new Cmbridye modern history, Vol X.

Cambridge 1968.

2- Dodwell, Henry : The founder of moder Egypt. Cambridge 1931.

3- Gibb Hamilton, Bowen Harold : gslamic Society and the West. Vol 1, Part 1, Oxford 1953.

4- Holt, P. M : Egypt and the Fertile Crescent, 1516 - 1922.

a political history. Lodon 1980.

5- Hunter, F. Robert : Egypt under the Khedives , 1805 - 1879, London 1940.

6- Little, Tom : Modern Egypt, London 1968.

صورة الغلاف : قلعة مدينة حلب بالشام

للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES